وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

حكمت محسن

رائد الدراما الإذاعية

أحمد بوبس



أحمد بوبس
حكمت محسن رائد الدراما الإذاعية
دمشق ٢٠١٢

حكمت محسن

رائد الدراما الإذاعية

أحمـد بوبـس

حكمت محسن

رائد الدراما الإذاعية

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٧م

حكمت محسن رائد الدراما الإذاعية / أحمد بوبس . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٧ . - ٢١٦ص؛ ٢٤ سم.

١ - ٩٢٧: محسن، حكمت ب ٢ – ٨١٢,٠٤٣ م ح س ح
٣ - العنوان ٤ – بوبس ٥ - محسن

مكتبة الأسد



القصاص الشعبي حكمت محسن

مقدمة

عندما كلفني وزير الثقافة الصديق الأستاذ محمد الأحمد بوضع كتاب عن الفنان الكبير حكمت محسن، عادت بي مخيلتي إلى نحو ستين عاماً، عندما كنت طفلاً. وتذكرت كيف كنا نهرع للتحلق حول المذياع حينما تبدأ شارة إحدى تمثيليات هذا الفنان الرائع. كانت التمثيلية تبدأ بشارة موسيقية مميزة، وخلالها يظهر صوت المذيع وهو يقول (القصاص الشعبي حكمت محسن يقدم...)، ليبدأ بعدها محسن الكلام بشخصية أبي رشدي أو (أبو رشدو)، يضعنا في أجواء التمثيلية، ليأتي دور الممثلين، ولنستمتع ونضحك كثيراً مع الشخصيات المحبوبة (أم كامل) و (أبو فهمي) و (أبو ابراهيم)، إضافة طبعاً إلى (أبو رشدي).

في خمسينيات القرن العشرين كانت أجهزة المذياع قليلة، ففي الحارة الواحدة يمكن أن يتوفر عدة أجهزة فقط، لذلك عندما كان يحين موعد تمثيلية (أبو رشدي) اليومية، كانت النساء يتجمعن في منزل الجارة التي يتوفر عندها المذياع لسماع التمثيلية. أما الرجال

فكانوا يجلسون أمام أحد الدكاكين التي فيها مذياع، وكان صاحب الدكان يرفع صوت المذياع إلى آخره ليسمع الجميع. كان المتجول في حارات وشوارع دمشق وقتها لا يسمع إلا تمثيلية (أبو رشدي).

لم تكن التمثيليات للضحك المجاني، إنما كانت موجهة، تنتقد العادات الاجتماعية السيئة، والأخطاء التي يرتكبها الناس في ممارساتهم اليومية. ففي إحدى تمثيلية (الطلعة من ورا والنزلة من قدام) انتقد فوضى الركوب في باصات النقل العام بدمشق، وإذ بالناس يقفون بصف منتظم على موقف الباص ويصعدون بالدور من الباب الخلفي، وينزلون من الباب الأمامي[1].

وحكمت محسن فنان عصامي مكافح. عشق الفن فدفع ثمن عشقه غالياً. عانى من الفقر والجوع، لدرجة أنه مرت عليه أيام، لم يكن يمتلك ثمن وجبة طعام ولا حتى ثمن رغيف خبز. عانى من ظلم المجتمع الذي كان ينظر إلى الفن نظرة إزدراء. عانى من غدر ومحاربة بعض الفنانين له بسبب تفوقه عليهم. ومع ذلك صمد وكافح، حتى جعل من الفن مهنة محترمة.

خاض حكمت محسن غمار كتابة كل أشكال الدراما. فكتب التمثيلية الإذاعية والمسرحيات والأعمال الدرامية التلفزيونية سواء كانت تمثيليات أو مسلسلات. كما كتب الأزجال والمونولوجات وكلمات الكثير من الأغنيات التي شدى بها كبار المطربين السوريين، وبذلك كان فناناً شاملاً.

---

(١) وقتها كان الصعود من الخلف والنزول من الأمام.

وفي هذا الكتاب سعيت لأن يكون شاملاً لكل جوانب حياة وأبداعات الفنان الكبير حكمت محسن، يوثق معظم نشاطاته.

فإن وفقت فهذا غاية ما أسعى إليه، وإن قصرت في ناحية ما، فحسبي أنني اجتهدت، ولكل مجتهد نصيب.

والله ولي التوفيق.

دمشق ٢٠ /٤ /٢٠١٧

أحمد بوبس

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الـولادة والنشـأة

- الولادة والنشأة
- شذرات الفن الأولى
- اللقاء المفصلي
- أنشطة أخرى
- مكيـدة
- زواجـه

من الفقر والمعاناة، من مهنة التنجيد إلى قمة الدراما كاتباً وممثلاً. هذا هو باختصار الفنان الشعبي حكمت محسن الذي عاش تسعة وخمسين عاماً، قضى معظمها في خدمة الفن، فاستحق أن يكون فنان الشعب بجدارة.

*** الولادة والنشأة:**

ولد حكمت محسن في مدينة استنبول التركية عام ١٩١٠، لأبوين دمشقيين. فوالده مصطفى صبحي محسن ووالدته خيرية عاشور. كان والده ضابطاً في الجيش العثماني. ومع بدء الحرب العالمية الأولى التي كانت الدولة العثمانية طرفاً أساسياً فيها، أرسل الوالد ابنه وزوجته إلى دمشق حرصاً على سلامتهما، لاسيما أنه سيكون مشغولاً عنهما في القتال. وخلال الحرب انضم مصطفى صبحي محسن إلى جمعية (تركيا الفتاة) المعادية للسلطان عبد الحميد الثاني وللحكم السلطاني كله. ثم تحولت هذه الجمعية إلى حزب (الاتحاد والترقي). وبعد أن استولى هذا الحزب على الحكم في تركيا، أظهر نواياه العدوانية نحو العرب، من خلال سياسة التتريك العنصرية واضطهاد العرب. فشارك مصطفى صبحي محسن في مقاومة هذه السياسة العدوانية نحو بني قومه، فنفي إلى اليمن، ثم أعيد إلى استانبول، وما لبث أن انقطعت أخباره عن أسرته وأهله بشكل نهائي.

وباختفاء مصطفى صبحي محسن أصيبت أسرته المكونة من زوجته خيرية عاشور وابنه الطفل حكمت بنكبة كبيرة، إذ فقدت الأم معيلها وسندها. عاشت مع طفلها فترة في بيت أختها في دمشق، ثم استأجرت غرفة في منزل، واضطرت للعمل لإعالة نفسها وابنها، فعملت خياطة ومربية وغسالة في بيوت الناس. وحرصت الأم على تعليم ابنها، فأدخلته مدرسة الإسعاف الخيري[1] ليتعلم فيها.

عاش حكمت محسن طفولته هذه يعاني الفقر والجوع إضافة إلى اليتم المبكر لفقدانه أبيه، فكان يمر عليه اليوم ولا تدخل معدته كسرة خبز. فاضطر في سن العاشرة من عمره لترك المدرسة من أجل العمل والتخيف عن والدته، فعمل في عدة مهن، عمل في منشرة عند نجار في الحارة التي يقطن فيها، ثم حداداً ومنجد كراسي وميكانيكياً ، ليستقر أخيراً في مهنة تنجيد الكنابايات. وساعدته مهنة التنجيد على مخالطة الناس، فكان خلال عمله يستمع إلى مشاكل الزبائن وحكاياتهم، فيختزنها في ذاكرته، وظهرت بعد ذلك في بعض تمثيلياته.

* شذرات الفن الأولى:

تعتبر والدة حكمت محسن معلمته الأولى في الفن، فهي التي زرعت في نفسه بذور الفن الأولى، فقد كانت تصحبه إلى زيارات

(١) هذه المدرسة تابعة لجمعية الإسعاف الخيري بدمشق، وما تزال قائمة حتى اليوم.

صويحباتها واستقبالاتهن، فكان يستمع بشغف إلى حكاياتهن، وكان في مقهى مصلبة العمارة بدمشق حكواتي، فكانت الأم في أوقات فراغها تقف على باب المقهى، تتنصت إلى الحكايات التي يحكيها الحكواتي، وفي المساء ترويها لابنها، فتوسعت مخيلته. كل ذلك ساهم في تنمية موهبته الفنية.

وفي سن الرابعة عشرة من عمره زارت دمشق فرقة الأخوين سليم وأمين عطا الله المسرحية المصرية، فحضر عروضها، واستهواه المسرح، فقابل صاحبي الفرقة وطلب منهما التمثيل معهما وبدون أجر، فأخذا يسندان إليه بعض الأدوار الثانوية، وكانت أول مشاركة له بدور (كومبارس) في مسرحية (حمام بنت الملك). فكان يعمل في النهار بمهنته ويذهب في الليل إلى المسرح لمشاركة الفرقة.

وأثار نشاطه في الفن غضب زوج خالته الذي يرى أن العمل في الفن شيء مشين، فوبخه وهدده قائلاً (إن عملت مع كشكش بك، وإن دست بيتي لأكسر رجلك)، ثم طرده من بيته.

وعندما أزمعت الفرقة الذهاب إلى بيروت لتقديم عروضها المسرحية هناك، طلب حكمت من صاحبي الفرقة مرافقتهما. وبقي في بيروت بعد انتهاء عروض الفرقة المصرية وسفرها إلى مصر. أمضى في بيروت فترة عانى خلالها من العذاب والجوع، فسكن مع صياد سمك في غرفة صغيرة متواضعة في المينا البيضا. ومن صور معاناته في بيروت، أن أعضاء فرقة عطا الله المصرية جلسوا مرة يتناولون الطعام في أحد مطاعم بيروت، وجلس بعيداً عنهم، فقال له أحد أعضاء الفرقة:

- يا شامي قوم كول.

فأجابهم:

- ما معي مصاري.

فذهب الممثل إلى الأخوين عطا الله صاحبي الفرقة، يطلب منهما السماح للشاب تناول الطعام معهم، لكنهما رفضا، فتصدق عليه الممثل برغيف خبز (حاف) فأكله.

وعمل مع فرقة علي العريس، ومثل دور الرجل الشامي، لكن قبضايات بيروت وقفوا ضده، فاضطر للعودة إلى دمشق. وفي بيروت شاهدته وعرفت قصته الممثلة اللبنانية فكتوريا حبيقة، فأشفقت عليه وهو فتى في أول شبابه، فنصحته بالابتعاد عن الفن قائلة له (أنت باين عليك ابن أوادم، اسمع مني وارجع لبلدك، لا تغتر بحياتنا، نحن شحادون بثياب ملوك، حرام عليك).

بعد عودته إلى دمشق عاد حكمت محسن إلى مهنته في التنجيد، دون أن تستطيع المعاناة التي عاشها من فقر وجوع أن تنتزع حب الفن من صدره، لكنه بقي ينتظر فرصة مناسبة. وقام بافتتاح محل لتنجيد الكنابايات في سوق الأروام في حي الحريقة بدمشق. وبسرعة انتشرت شهرته معلماً في تنجيد الكنابايات في السوق، بل وفي دمشق كلها، فأصبح من يمتلك طقم كنبايات فاخر يقول إنه من تنجيد حكمت محسن، حتى غدا اسمه كالماركة المسجلة. وفي تلك الفترة أسس أول نقابة للمنجدين في سورية لتدافع عن حقوقهم، وكان أول رئيس لها.

وتعلم الموسيقا والعزف على العود سماعياً بنفسه دون أن يعلمه أحد. وفي عام ١٩٣٢ قام مع عدد من أصدقائه بتشكيل فرقة فنية برئاسته، وكانت تضم فرقة تمثيلية وأخرى موسيقية وكان منهم الفنان عدنان قريش الذي أصبح فيما بعد موسيقياً كبيراً. وبدأت الفرقة بتقديم التمثيليات في بعض البيوت الدمشقية الكبيرة، مقلدة بذلك بدايات رائد المسرح العربي أبي خليل القباني. وكانت تقدم في برنامجها التمثيليات القصيرة والمونولوجات الناقدة التي كان يكتبها ويلحنها ويقدمها حكمت محسن بنفسه، وكان ينتقد في بعضها العادات الاجتماعية السيئة، وفي بعضها الآخر كان يهاجم الاستعمار الفرنسي الجاثم على صدر الوطن. وما لبثت الفرقة بعد أن استقطبت جمهوراً كبيراً، أن انتقلت لتقدم عروضها على مسارح دمشق، ومنه مسرح العباسية الذي كان موقعه مكان صالة (الثامن من آذار) تحت فندق (سمير أميس) في ساحة فيكتوريا بدمشق. ومن المسرحيات التي قدمتها (أبو زينب بياع الحلاوة)، التي قدمتها أولاً في أحد البيوت الدمشقية، ثم في حديقة المنشية ببلدة قطنا التي تقع جنوب غرب دمشق، ثم على خشبة مسرح (لونا بارك) الصيفي بدمشق[١]. وفي تلك الفترة اطلع محسن على المسرحيات العالمية المترجمة، ليتعرف منها أصول الكتابة المسرحية.

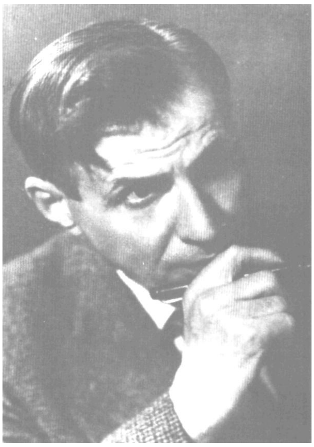
---

(١) اللونا بارك مسرح صيفي مكشوف في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، وكان موقعه على الطرف الشرقي من شارع ٢٩ ايار بدمشق، مكان المركز الثقافي الروسي اليوم.

ومن صور معاناة أعضاء الفرقة من نظرة المجتمع القاسية للفن والفنانين، أن أحد الآباء اكتشف أن ابنه يقوم بالتمثيل في الفرقة، فجاء إلى حيث تقدم الفرقة عروضها، وصعد إلى خشبة المسرح، وانهال على ابنه ضرباً أمام الجمهور، وساقه إلى المنزل.

* اللقاء المفصلي :

في عام ١٩٣٠ كان لقاء حكمت محسن مع الفنان وصفي المالح، هذا اللقاء المفصلي في حياة حكمت محسن الذي فتح أمامه أبواب الفن واسعة، يحقق عبرها النجاح والشهرة. وكان وصفي المالح وقتها ممثلاً كبيراً وأحد المشرفين على (نادي الفنون الجميلة) أحد أكبر وأعرق الأندية الفنية في دمشق في ثلاثينيات القرن العشرين. ففي مذكراته يتحدث الفنان الدمشقي وصفي المالح[1] عن حكاية تعرفه على حكمت محسن، فيقول:



وصفي المالح

كان يزورني مع قريبه وصديقي الأخ عادل السمان في عام ١٩٣٠. فأخذت أواصر الصداقة تزدهر بيننا. وفي عام ١٩٣٣ أحببت أن

(١) قام الأديب والفنان ياسر المالح ابن شقيق وصفي المالح، بجمع مذكرات عمه، وأصدرها عام ١٩٨٤ في كتاب حمل عنوان (تاريخ المسرح السوري ومذكراتي - وصفي المالح مع المسرح والمجتمع).

أصـوره بخمـسـة أوضـاع[1]. وكنـت اخترعــت هـذه العمليـة في عـام ١٩٢٧. وبعــد نهايــة التـصوير، قلــت لــه (إن ابتـسامتك ونظراتــك وحـركاتك تؤهـلك لتكون ممثلاً فـي المسـتقبل).

فعلقت هذه الكلمات في أذنه. وحينما شب في عام ١٩٣٦ قدم إلي طلـب انتـساب إلى النـادي (نـادي الفنـون الجميلـة)، فأخذتـه قـائلاً لـه (سأبحث بـشأنك مـع اللجنـة المختـصة وأعـود إليـك عـلى الفـور). ثـم أوصـدت عليـه البـاب، وقمـت بـواجبي، ورجعـت بعـد نـصف سـاعة تقريباً. وقبل أن أدخل عليه سمعته يدمدم بصوت لا يطرب، بل يبعث الأسى والحزن في القلوب. ثم فاجأته بالدخول، فاضطرب فقلت له:

- سمعتك تغني فلا تخجل، وأعد على مسمعي تلك الأغنية.

فاحمر وجهه، وأخذ يغني ويردد هذه الكلمات :

مرجانة زعلانة داريها يا سليم

مرجانة جوعانه طعميها يا سليم

مرجانة بردانة لبسها يا سليم.

ثم انفجرت الدموع من عينيه. وكان غناؤه يعبر عما يقاسيه مـن شظف العيش. فاتصلت بأحد المطـاعم دون أن يـشعر، وطلبـت وجبـة طعـام لشخـصين، وانتقلـت بـه إلى موضـوع آخـر، إذ بـشرتُه أن اللجنـة وافقت على انتسابه إلى النادي، وأنها اتخذت قراراً إستثنائياً بالسماح لك

(١) كان وصفي المالح مصوراً فوتوغرافياً إضافة إلى كونه ممثلاً. وكـان يمتلـك اسـتديو للتصوير في دمشق.

بالعمل أو السفر مع أية فرقة ترتاح إليها. ففرح وكفكف دموعه. فأضفت إلى كلامي السابق ما يلي :

- اسمع يا حكمت، أنت بحاجة إلى ما تنفقه على نفسك. ومن هذا المنطلق وبصورة خاصة، سيقدم لك النادي هدية مادية عن كل عمل فني تقوم به بصورة سرية. فكاد يرقص من فرط سروره وقال :

- إذن هل باستطاعتي أن أرافق فرقة«س» في رحلتها الآن؟

قلت :

- نعم وأنت حر التصرف. وعلى أي حال سأكتب لك أدواراً خفيفة لطيفة، وأحفظها حتى تعود.

ولما عاد من جولاته، قلت له :

- أتيت في وقتك يا حكمت. عندي مفاجأة لا تخطر لك على بال وسترفعك إلى القمة.

قال :

- خير إنشالله شو الحكاية؟

قلت له :

- ستقوم بتمثيل دورين في مسرحية من ثلاثة فصول، دور (الحاكم) ودور (البربري مرجان). وهذا العمل سيفجر مواهبك الفياضة.

وبعد تدريب استغرق شهراً ونصف الشهر، كان حكمت في مساء ٢٧ تموز عام ١٩٣٨ يجول ويصول على مسرح مدرسة اللاييك في

شارع بغداد، بمسرحية (استقالة إبليس) التي حضرها بعض النواب وعلى رأسهم فخري بك البارودي وزكي بك الخطيب وعفيف بك الصلح، وفريق من الأطباء والمحامين وكبار الشخصيات وأصحاب الصحف والفنانين.

ونجح (مرجان) نجاحاً لا يوصف، واستمر التصفيق يدوي في القاعة حوالي خمس دقائق. كما أنه نجح بدور رئيس المحكمة، حتى اضطر زعيم الشباب فخري البارودي أن يقف ويسألني أثناء التمثيل:

- منين حوشتوا هالممثل الخفيف الروح؟

وقوبلت هذه الكلمة بعاصفة من التصفيق وهتافات بحياة النادي والقائمين عليه. وهذه بعض كلمات من دور مرجان التي كان يغنيها بصوته الذي فجر الضحك:

اسمع مني دخل عيونك إحنا برابرة... ما فيش منا
ناكل نشرب.. نضحك نلعب لكن حظنا أسود... زيْنا

* * *

ستي كل يوم تلبس موضه ومرجان محبوس وسط الأوضه
كي كي كي كي كوكوكوكو حادا مودا جارية سودا

* * *

ياما تعبنا... وياما شقينا وما حدا يعطف والله علينا
ويا حسرتنا ويا مصيبتنا كل العالم... تحكم فينا

* * *

**فـرفش فـرفش أوعـا تزعـل	وقّـفْ عنـدك.. بكـره بترحـل**

**شـرلم بـرلم هُـب لا حاسـب	رايـح مثّـل... دار المغـزل**

* * *

ويتابع وصفي المالح :

وكتبت لـه عـدة مونولوجـات بربريـة وتمثيليـة بعنـوان (مرجـان رئيس الفرقة)، وثانية بعنوان (مرجان في البيت المشبوه). وقد قام بتمثيل دور البربري (ناصر) في مسرحية (الشهيد والطريد) في ١ آذار ١٩٤١. ومن كلمات التمثيلية الثانية (الحمد لله يا ربي، هون حطنا الجمال، بعـد سـنتين ونص ويومين وأربع ساعات وعشرين دقيقة، لقيت هالأوضة يللي متل كـوخ الحـارس. والله مـصيبة يـا نـاس، بلـد طويلـة عريـضة، وكـل يـوم بنايات، وعمارات وشوارع، وبوارع وكوارع، ما يلاقـي الإنـسان زريبـة غنم فاضية. فين عم بيروحوا بهالبيوت؟ مـالي عرفـان). إلى هنـا ينتهـي كلام وصفي المالح.

ودارت الأيـام، واتخـذ حكمـت محسن لنفسه اسـماً فنيـاً (أبـو رشدي)، وشرع يكتـب ويمثـل ويكتـب، ولا يجاريـه أحـد فـيما يكتـب، ذلك لأنه عارك الدهر طويلاً، وصبر على نوائبـه كثـيراً. وهـذا مـا دفعـه أخيراً إلى تأليف مسرحية (صابر أفندي).

* أنشطة أخرى :

وخلال تلك الفترة عمل حكمت محسن مع (فرقة حسن حمدان). فكان يقدم بين فصول مسرحيات الفرقة فواصل فكاهية وأزجال غـير

ملحنة ومونولوجات ناقدة من تأليفه وتلحينه. كما شارك في بعض نشاطات نادي (دار الألحان والتمثيل)، منها مسرحية (في ربوع الشام) تأليف عبد الوهاب أبو السعود، والمسرحية اجتماعية انتقادية فكاهية. وقام فيها حكمت محسن بدور نسائي، وهو دور (الحماة).

وفي عام ١٩٤٢ انضم إلى (فرقة ناديا العريس)، وقام بالأدوار التي كانت توكل إليه في عروض الفرقة. واستمر في نشاطاته هذه طيلة فترة الأربعينيات من القرن العشرين. وخلال تلك الفترة بدأ أولى تجاربه في كتابة التمثيليات القصيرة، حتى برع فيها وأصبح من روادها الأوائل.

* مكيـــدة :

لا بد لكل نجاح من ضريبة. وفي كثير من الأحيان تكون هذه الضريبة حقداً وحسداً أو نصباً واحتيالاً. والأمران حدثا في وقت واحد مع حكمت محسن. كان ذلك بعد النجاحات الكبيرة التي حققها كما أسلفنا. هذه النجاحات أثارت الغيرة والحقد عند بعض الفنانين الذي بزّهم وتفوق عليهم بفنه. وبدلاً من سلوك السبل الشريفة لمنافسته فنياً حاكوا ضده مؤامرة بغية إفشاله.

فقد قرر حكمت محسن أقامة حفلة غنائية على مسرح العباسية، يقدم فيها مونولوجاته الضاحكة. وقام بكل ما من شانه إنجاح الحفلة من تدريبات مع الفرقة الموسيقة وتجهيزات في المسرح وغير ذلك. ونظراً لشهرته وسمعته الفنية العطرة، فقد بيعت جميع تذاكر الحفلة التي حدد موعدها بتاريخ الرابع عشر من تموز ١٩٣٨. وعندما دخل

حكمت محسن إلى كواليس المسرح استعداداً لبدء الحفلـة، فـوجئ بعـدم وجود أي من الموسيقيين الذين سيرافقونه ضمن الفرقة الموسيقية. فقد تغيبوا جميعهم بعد أن دفع لهم الفنان توفيق العطري مبالغ من المال كـي لايذهبوا إلى الحفلة، قاصداً بذلك إفشال حكمت محسن. وحتى تكتمل المصيبة سرق قاطع التذاكر ثمن البطاقات وهرب. وهذا يعني أن محسن لن يكون بإمكانه إعادة ثمن التذاكر للجمهـور، وحـاول بـسرعة إنقـاذ الموقـف، فاسـتعان بـصديق لـه عـازف أوكرديـون وبـبعض الموسـيقيين الهـواة، وعنـدما بـدأ الغنـاء كـان هـو في واد والموسـيقيون في واد آخـر. وكانت النتيجة فشلاً ذريعاً، ونتيجة ذلـك أغمـي عليـه. وحـين اسـتعاد وعيه، قال متندراً (كأن الجنّ كانوا يعزفون من ورائي).

* زواجـــه :

في عام ١٩٣٨ تزوج حكمت محسن مـن الـسيدة وداد النيحـاوي، وأقـام معهـا في بيـت اسـتأجره في منطقـة القـدم جنـوب حـي الميـدان الدمشقي. وأخذ يوزع وقته بين عمله في التنجيد والنشاط الفني.

وفي عام ١٩٤٠ تزوج مرة ثانية، وأنجب من الزوجة الثانيـة ابنتـه فدوى[١]. لكن في عام ١٩٤٢ انفصل عن زوجته الثانية بالطلاق، وعـاد إلى زوجته الأولى، وترك طفلته فدوى تتربى عند أمها. لكنه كـان يـتردد عليهما بشكل سري. وعن ذلك تقول ابنته فدوى :

(١) أصـبحت فـدوى عنـدما كـبرت ممثلـة. وشـاركت في الكثـير مـن المسلـسلات التلفزيونية والتمثيليات الإذاعية.

(عشت حتى صار عمري /١٢/ سنة وأنا لا أعرف إلا أن هذه المرأة التي تربيني هي أمي، وأن أبي مات وأنا صغيرة. وكان حكمت محسن يزورنا باستمرار. وكنت أحس بحنانه، إلا أنه لم يخطر لي في أي يوم أنه أبي. رغم أن حنانه كان دائماً مثل حنان الأب. بدأ الناس يتهامسون، وبدأت رفيقاتي في المدرسة يعيرونني بأن أبي مجهول، وضاقت بي الدنيا، ثم جاءني حكمت محسن وهو يبكي، وأخبرني أنه والدي، وأن لي أخاً اسمه أيمن يصغرني بست سنوات).

وأخيراً وبعد طول انتظار، تجمع الشمل في دار استأجرها حكمت محسن له ولولديه أيمن وفدوى في حي المهاجرين، وذلك سنة ١٩٦٥. وأيمن وفدوى هما ولداه الوحيدان، إذ لم ينجب غيرهما.



نادي الفنون الجميلة بدمشق



حكمت محسن وزوجته الأولى وابنهما أيمن



حكمت محسن وولداه أيمن وفدوى

الفَصْلُ الثَّانِي

الفرقة السورية وانطلاقته الكبيرة

- تأسيس الفرقة
- أعمال حكمت محسن للفرقة
- أعماله الإذاعية
- أعماله المسرحية

رغم كل النشاطات الفنية التي قام بها حكمت محسن، وتحدثنا عنها في الفصل الأول، إلا أنه ظل محدود الشهرة، وظل الفن يحتل هامشاً من حياته يمارسه بعد انتهاء عمله اليومي في مهنة التنجيد. إلى أن جاء انضمامه إلى الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا، فشهد انطلاقة فنية كبيرة جعلت منه نجماً كبيراً على الصعيد السوري والعربي وفي مجالي التمثيل والتأليف الدرامي.

*** تأسيس الفرقة :**

تأسست الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا عام ١٩٤٧ بمبادرة من الفنان تيسير السعدي العائد حديثاً من القاهرة بعد دراسته في معهد التمثيل فيها. وكان هدفه من تشكيل الفرقة تقديم الأعمال التمثيلية باللهجة العامية السورية. وكان أعضاؤها المؤسسون الكاتب والممثل والصحفي ممتاز الركابي الذي تولى رئاستها، والصحفي عباس الحامض الذي تولى أمانة السر فيها، والمحامي والمؤلف عبد الهادي الدركزللي والمونولوجست سامي الكسم الذي اشتهر فنياً باسم (سامي أبو نادر) والممثلين أنور البابا وعبد السلام أبو الشامات، والمصور يوسف فهدة الذي كان يتولى توثيق أعمال الفرقة.

وعندما تأسست الفرقة كانت إذاعة دمشق قد بدأت إرسالها. فبدأت الفرقة تقديم أعمالها الفنية عبر أثير الإذاعة، بعد أن تم تعيين أعضاء الفرقة موظفين في الإذاعة. وتولى ممتاز الركابي (رئيس الفرقة) منصب رئيس دائرة التمثيليات في إذاعة دمشق. وكان يكتب التمثيليات عبد الهادي الدركزللي ويخرجها تيسير السعدي.

لكن بعد فترة ترك عبد الهادي الدركزللي الفرقة ليتفرغ لعمله في المحاماة، فاستعانت الفرقة بحكمت محسن للكتابة لها، بعد نجاح التمثيليات المختلفة التي كان قد كتبها لعدة فرق تمثيلية منها (فرقة حسن حمدان) و (فرقة ناديا العريس)، وحققت نجاحاً لابأس به، كما نوهنا في الفصل الأول، فضمته الفرقة إليها. وهكذا بدأت مرحلة جديدة ومهمة في مسيرته الفنية. وكان وقتها لايزال يعمل في مهنة التنجيد. ولم تكن إذاعة دمشق قد أعارته أي اهتمام. ولكن كيف كانت بدايته مع الفرقة؟. وماهي أول تمثيلية كتبها لها؟

عن ذلك يقول تيسير السعدي[١] :

(كنت ماراً بسوق الأورام[٢]، فرأيته وكانت صداقتنا طويلة. فأعطاني تمثيلية وقال لي اقرأها، إن أعجبتك فاعملها للإذاعة وإلا فارمها . قرأت النص فأعجبني بعفويته وشعبيته الصادقة . وأخرجت

(١) كتاب (تيسير السعدي – ممثل بسبعة أصوات) – ميسون علي - أمانة دمشق عاصمة الثقافة العربية – دمشق ٢٠٠٨.

(٢) سوق كان موقعه في أحد الشوارع المتفرعة عن سوق الحميدية باتجاه الحريقة جنوباً. وكان متخصصاً ببيع الأغراض المنزلية المستعملة.



تيسير السعدي

منه تمثيليتين«يا آخد القرد على ماله» و«نهاية سكير»). وقام تيسير السعدي بإخراجهما وتقديمهما لإذاعةالشرق الأدنى التي سبق حكمت محسن في التعاون معها. وبعد هذا العمل أخذ حكمت محسن يتردد على مقر الفرقة في شارع العابد.ويتابع تيسير السعدي قائلاً :

(وحكمت محسن لم يتعلم في المدارس وإنما ثقف نفسه بنفسه. وعندما زرته في بيته، فوجئت بوجود مكتبة وكتب لروائيين عالميين مثل اميل زولا ومكسيم غوركي. إذ كان يحب غوركي كثيراً ويقول«إن حياتي تشبه حياته»).

وفي عام ١٩٥١ انضم حكمت إلى الفرقة ليصبح الكاتب الرئيسي بل الوحيد (للفرقة السورية للتمثيل والموسيقا). وكان يكتب الحواريات في تمثيلياته للشخصيات التي كانت موجودة في الفرقة قبل انضمامه إليها.

وهذه الشخصيات هي (أم كامل) التي كان يؤديها سامي أبو نادر ثم أنور البابا، و(أبو فهمي) للفنان حسني تللو ثم فهد كعيكاتي، و(أبو ابراهيم) لعبد السلام أبو الشامات، و(ابراهيم) لياسين الدركزللي ثم تيسير السعدي. وأضاف حكمت محسن شخصية جديدة هي (أبو رشدي)، وقام بنفسه بأداء دوره. و(أبو رشدي) يمثل الرجل الدمشقي المحترم الذي يقول الحق ولو على قطع رأسه. وفي الفرقة كون حكمت محسن وتيسير السعدي ثنائياً فنياً ناجحاً. وفي جميع تمثيلياته كتب حكمت محسن للشخصيات آنفة الذكر. فأعطى كل شخصية طابعها الخاص. وبسرعة نالت هذه الشخصيات شهرة جماهيرية واسعة وبشكل خاص من خلال التمثيليات الإذاعية التي قدمتها إذاعة دمشق.

* أعمال حكمت محسن للفرقة :

ظل حكمت محسن الكاتب الوحيد لأعمال الفرقة السورية الفنية، منذ انضمامه إليها مطلع الخمسينيات من القرن العشرين وحتى رحيله عام ١٩٦٨ . وتوزعت مؤلفاته للفرقة على قسمين. القسم الأول ضم التمثيليات الإذاعية التي قدمتها الفرقة عبر أثير إذاعة دمشق وإذاعة الشرق الأدنى التي كان مقرها في قبرص، والقسم الثاني تضمن المسرحيات والتمثيليات التي قدمتها الفرقة على المسرح. ويلاحظ أن حكمت محسن توقف تماماً عن كتابة وتقديم المونولوجات بشكل نهائي بعد انضمامه للفرقة.

* **أعماله الإذاعية :**

توزعت في عدة أنواع :

١ - البرامج الترفيهية التي تهدف إلى إدخال السرور إلى نفس المستمع. مثل برنامج (انس همومك)، وقدمته إذاعة الشرق الأدنى، برنامج (اضحك تربح) و(وبرنامج سهرات أهل الفن) لإذاعة دمشق .

٢ - التمثيليات الاجتماعية الناقدة باسلوب كوميدي ساخر، مثل تمثيليات (ياآخد القرد على ماله)،(كوم حجار ولا هالجار)،(المايكرفون في العيد).

٣ - التمثيليات الدرامية مثل (مذكرات حرامي)،(نهاية سكير).

٤ - برامج تراثية أهمها (مسلسل مرايا الشام) . وكل حلقة فيه كانت تحكي قصة فنان سوري قديم في إطار درامي غنائي. واستقى محسن بعض حودثها من السير الشعبية مثل (ألف ليلة وليلة) و(السندباد) وغيرها.

* **أعماله المسرحية :**

حققت التمثيليات والبرامج الإذاعية التي قدمتها الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا عبر إذاعتي دمشق والشرق الأدنى نجاحاً جماهيرياً كبيراً. الأمر الذي شجع الفرقة على الخروج من استديوهات الإذاعة إلى المسرح، بدءاً من عام ١٩٤٨ .

وفي البداية تولى عبد الهادي الدركزللي كتابة مسرحيات الفرقة. وبعدما ترك الفرقة تولى حكمت محسن المهمة. ففي عام ١٩٥٤ كتب محسن مسرحية (يامستعجل وقف لقلك)، وفي عام ١٩٥٧ كتب للفرقة المسرحية الكوميدية (الكرسي المخلوع). وسيجري التوسع في الحديث عن المسرحيتين في الفصل المخصص للمسرح عند حكمت محسن.

حققت الفرقة السورية للموسقا والتمثيل انتشاراً واسعاً. فبالإضافة إلى دمشق قدمت عروضها في معظم المحافظات السورية وفي لبنان. وفي الفترة التي كانت لا تقدم فيها عروضاً مسرحية، كانت تقدم حفلات المنوعات التي يتخللها الغناء والفواصل الفكاهية والمونولوجات الضاحكة. وإضافة إلى المسارح كانت تقدم حفلات منوعة في القطع العسكرية للقوات المسلحة ترفيهاً عن الجنود، كما كانت تقدم حفلات لصالح الجمعيات الخيرية.

كما ذكرنا استمر حكمت محسن بالكتابة للفرقة السورية للتمثيل والموسيقا حتى رحيله عام ١٩٦٨. وبعد رحيله بدأ العد التنازلي للفرقة، وبدأ نشاطها بالتراجع، لاسيما بعد رحيل مؤسس الفرقة ورئيسها ممتاز الركابي. وفي عام ١٩٧٣ انفرط عقد الفرقة وتوقفت نهائياً عن النشاط لتنتهي مرحلة هامة في الحركة الفنية السورية.



أعضاء الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا

من اليمين مصطفى حلاق سامي أبو نادر حكمت محسن

ممتاز الركابي تيسير السعدي أنور البابا

الفَصْلُ الثَّالِث

حكمت محسن وإذاعة دمشق

- في إذاعة الشرق الأدنى
- في إذاعة دمشق
- حقيقتان
- حكمت محسن ورفيق السبيعي
- تفرغ للإذاعة
- أعمال إذاعية منوعة

عندما بدأت إذاعة دمشق إرسالها في السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٧، كان حكمت محسن من أوائل الأصوات التي أطلت عبر أثيرها، فبعد أن افتتح المذيع الأمير يحيى الشهابي البث الإذاعي بصوته، ألقى الرئيس شكري القوتلي كلمة، بعده مباشرة قدم حكمت محسن بصوته مونولوجاً من كلماته وتلحينه، ففي ذاك الوقت كان لايزال مقتصراً بفنه على كونه مونولوجست بالدرجة الأولى مع تقديم بعض الأدوار التمثيلية. لكنه لم يكن قد بدأ كتابة التمثيليات. وبعد هذا المونولوج لم تعد إذاعة دمشق تعيره أي اهتمام. فقد استقطبت الإذاعة الفرقة السورية للتمثيل والغناء قبل أن ينضم حكمت محسن إليها. وكان عبد الهادي الدركزللي كاتب التمثيليات الوحيد فيها.

* في إذاعة الشرق الأدنى :

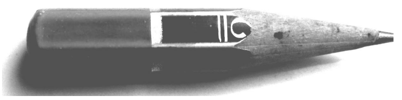
في تلك الفترة كان في المنطقة إذاعة قوية تحمل أسم (إذاعة الشرق الأدنى) البريطانية التي تحولت فيما بعد إلى إذاعة لندن (BBC). وكان مقر إذاعة الشرق الأدنى في جزيرة قبرص. كانت هذه الإذاعة تجتذب جمهوراً عربياً كبيراً بفضل برامجها الفنية والثقافية المتميزة. فعبر أثيرها لمع نجم الكثير من الفنانين العرب، مثل محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش ومحمد محسن وسامي أبو نادر والأخوين رحباني

وفيلمون وهبي. وكان عبد المجيد أبو لبن المسؤول عن برامج المنوعات فيها يجيد اكتشاف المواهب الفنية المتميزة. وهو في الأساس مخرج إذاعي متميز.

وأول مرة سمع فيها عبد المجيد أبو لبن بحكمت محسن كانت عندما قام تيسير السعدي بإخراج تمثيليتين لإذاعة الشرق الأدنى من تأليف محسن كما نوهنا سابقاً. والتمثيليتان هما (ياآخد القرد على ماله)، وتتناول عادات الزواج الخاطئة، مثل تزويج بنت بعمر الورود من عجوز غني طمعاً بماله، والثانية (نهاية سكير) التي تتحدث عن رجل سكّير، أدى به إدمان الكحول إلى الإفلاس. وخلال زيارات أبي لبن المتكررة إلى دمشق تعرف أكثر على حكمت محسن، وشدت اهتمامه الأعمال الفنية التي كان يقدمها محسن على المسرح، ولاسيما التمثيليات الكوميدية. فالتقاه عام ١٩٥٠، ودعاه إلى قبرص للمشاركة بإحياء ليالي شهر رمضان المقبل.

وبعد أيام من دعوة عبد المجيد أبو لبن الشفهية لحكمت محسن تلقى الأخير دعوة خطية للسفر إلى قبرص. ولما كان حكمت محسن لايملك ثمن بطاقة الطائرة، فقد وفر له أبو لبن البطاقة. وركب حكمت محسن الطائرة لأول مرة في حياته إلى قبرص. وفي الطائرة حدثت معه حادثة طريفة. فعندما قامت المضيفة بتوزيع السكاكر على الركاب، رفض محسن الأخذ منها، ظاناً أنه سيدفع ثمنها وهو لايملك من النقود شيئاً.

في مقر إذاعة الشرق الأدنى التي وصلها قبل حلول شهر رمضان بيومين فقط، طلب منه عبد المجيد أبو لبن الاطلاع النصوص التي كتبها، ففتح محسن محفظته وأخرج منها قلم الرصاص العريض الذي



قلم الرصاص

يكتب به، وقال له هذا كل ما معي. وفي مساء ذلك اليوم باشر بكتابة الحلقات الأولى من البرنامج المنوع (صندوق الدنيا عجايب) لتسجل صباح اليوم التالي. وما أن أذيعت الحلقة الأولى عبر أثير إذاعة الشرق الأدنى في اليوم الأول من رمضان حتى حققت نجاحاً مدوياً. فتابع محسن كتابة ثلاثين حلقة من للبرنامج أذيعت طيلة ليالي شهر رمضان من ذاك العام. وجعلت من حكمت محسن نجماً في كتابة التمثيليات الإذاعية والبرامج المنوعة.

ومسلسل (صندوق دنيا العجايب) كان عبارة عن ثلاثين تمثيلية. تذاع كل يوم بعد الإفطار واحدة منها. وكانت التمثيليات بمجملها تتحدث عن الصيام وفوائده الصحية والروحية، وعن الذين يدّعون الصيام وهم في الحقيقة مفطرون. وقدمت في إطار كوميدي. أما طاقم الممثلين الذي شاركوا في التمثيل في حلقات المسلسل فكانوا من الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا التي تحدثنا عنها ، وهم طيبو الصيداوي وتيسير السعدي وحكمت محسن ودلال شعراوي وفهد كعيكاتي وعبد السلام أبو الشامات. أما المخرج فكان كامل قسطندي. وكان حكمت محسن يقوم بدور الراوي في بداية كل حلقة بشخصية (أبو رشدي). وكان يفتتح كل حلقة بصوته الجهوري وبالزجلية التي تقول :

صندوق عجايب الدنيا

حاوي جراب الغرايب

صندوقي يا أبو الصناديق

فيك الحاضر والغايب

أمضى حكمت محسن في قبرص أربعين يوما، كانت بمثابة قفزة كبيرة في مسيرته الفنية، وضعته في مرتبة النجومية كاتباً درامياً وممثلاً. ليعود بعدها إلى دمشق ويجد إذاعتها بانتظاره. واستمر محسن في تعاونه مع إذاعة الشرق الأدنى لعدة سنوات كتب لها خلالها العديد من البرامج من أهمها (انسى همومك) الذي استمر لسنوات عديدة، وكان نجمه الكوميدي السوري الكبير سامي أبو نادر.

واستمر تعاون حكمت محسن مع إذاعة الشرق الأدنى حتى عام ١٩٥٦، وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر الشقيقة في ذاك العام بمشاركة بريطانيا وفرنسا واسرائيل. قرر حكمت محسن مقاطعة الإذاعة. وفي تصريح للصحافة دعا كل الفنانين لمقاطعة إذاعة الشرق الأدنى، واعتبر التعاون معها خيانة قومية. وبالفعل قاطع كل الفنانين والإعلاميين العرب تلك الإذاعة، الأمر التي اضطرها لإغلاق أبوابها وإيقاف بثها.

وبعد فترة ظهرت الإذاعة من جديد باسم إذاعة لندن (BBC). وحاولت هذه الإذاعة استقطاب حكمت محسن مرة ثانية. فعرضت عليه أن يقدم برنامجاً من ثلاثين حلقة، بطلها رجل هارب من الاتحاد

السوفييتي يحمل اسم (أبو رشدوف) وهي تحوير لاسم (أبو رشدي) التي اشتهر بها حكمت محسن. و(أبو رشدوف) هذا فر من الاتحاد السوفييتي هرباً من الاضطهاد. لكن حكمت محسن رفض العرض احتراما للاتحاد السوفييتي ومواقفه المؤيدة للقضايا العربية.

*** في إذاعة دمشق :**

ما أن عاد حكمت محسن من قبرص مكللاً بالنجاح، حتى ضمته الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا إليها، ليحل مكان عبد الهادي الدركزللي في كتابة أعمالها الفنية، وخاصة بعد أن تركها الدركزللي. كما استدعته إدارة إذاعة دمشق، ليبدأ مرحلة فنية جديدة.

ولكن ماحكاية دخوله أذاعة دمشق، بعد عودته المظفرة من قبرص؟..

عندما عاد من قبرص، استدعاه مدير الإذاعة آنذاك أحمد عسة. وقال له :

- أنت ابن الشام، فكيف تكتب لإذاعة الشرق الأدنى وتتركنا؟

فأجابه محسن :

- أنا أكتب من عشرين سنة، وما من أحد في هذا البلد حاول الاستفادة مني.

فأجابه أحمد عسة :

- اعتباراً من اليوم ستكتب للإذاعة السورية.



أحمد عسة

- على عيني.

وهكذا بدأت مسيرة حكمت محسن مع إذاعة دمشق. لتشهد التمثيلية الإذاعية على يديه تطوراً وانتشاراً كبيرين. ووضع محسن تقاليد للتمثيلية الإذاعية، لا تزال إذاعة دمشق تسير عليها حتى اليوم.

*** حقيقتان :**

ولا بد قبل الخوض في مرحلة إذاعة دمشق لحكمت محسن من التوقف عند أمرين لابد من توضيحهما وتصويبهما. وكلاهما لاينقصان من قيمة حكمت محسن شيئاً، بل يصححان خطأين شائعين ارتكبتهما العديد من المراجع التي تحدثت عن إذاعة دمشق وعن حكمت محسن ودوره في التمثيلية الإذاعية.

الأمر الأول أن هناك من ينسب ابتكار التمثيلية الإذاعية إلى إذاعة دمشق. وكنت أنا واحداً من الذين فعلوا ذلك. ولكن بعد قراءتي لكتاب (تاريخ الإذاعة الفلسطينية) لمؤلفه نصر الجوزي[1]، تأكد لي أن إذاعة القدس الفلسطينية التي بدأت أرسالها عام ١٩٣٦ وتوقف عام

(١) كتاب (تاريخ الإذاعة الفلسطينية) - هنا القدس (١٩٣٦ - ١٩٤٨) – نصر الجوزي – الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق ٢٠١٠.

١٩٤٨ عند وقوع النكبة، هي المبتكرة الأولى للتمثيلية الإذاعية العربية، على يد الفرق المسرحية التي كانت مزدهرة في القدس، مثل (فرقة الجوزي) و(الفرقة التمثيلية العربية لجمعية الشبان المسيحية) و(فرقة الثقافة والفنون). وعن إذاعة القدس أخذت الإذاعات الأخرى فن التمثيلية الإذاعية.

أما الأمر الثاني فهو موضوع ابتكار الشخصيات الدرامية التي كانت تشارك حكمت محسن في تمثيلياته وبرامجه عبر الإذاعة. ويُذكر كثيراً أنها من ابتكار محسن. والصحيح أن هذه الشخصيات (الكاركترات) كانت موجودة قبله، ولكنه استطاع أن يطورها ويوظفها بشكل رائع حتى أخذت شعبيتها وشهرتها بالشكل الذي كان. فشخصية (أم كامل) ظهرت في إذاعة دمشق قبل دخول حكمت محسن إليها. وقدمها أولاً الفنان سامي الكسم الذي عرف فنياً باسم (سامي أبو نادر) في التمثيلية الإذاعية (الكوليرا) عام ١٩٤٨ ، بعد ذلك انتقلت الشخصية إلى الفنان أنور البابا. وفي نفس التمثيلية ظهرت شخصية (أبو ابراهيم) التي أداها الفنان عبد السلام أبو الشامات. وشخصية (أبو فهمي) سبقت أيضاً حكمت محسن وأداها في أربعينيات القرن العشرين الفنان حسني تللو قبل أن تنتقل إلى الفنان فهد كعيكاتي. ونفس الكلام ينطبق على شخصية (أبو صياح) فقد أداها أولاً الفنان أنور المرابط في مسرحية (القادم من أمريكا) التي كانت تقدمها فرقة الفنان عبد اللطيف فتحي على مسرح مدرسة اللاييك بدمشق عام ١٩٥٤ ، وكان الدور لعتال يحمل اسم (أبو صياح). وفي

أحد الأيام اضطر أنور المرابط للغياب عن أحد عروض المسرحية. فطلب عبد اللطيف فتحي من رفيق السبيعي أداء الدور في عرض تلك الليلة، لكون السبيعي كان ملقن الفرقة ويحفظ الدور جيداً. فأدى رفيق السبيعي الدور، ونجح به نجاحاً باهراً، مما دفع عبد اللطيف فتحي للاستغناء عن أنور المرابط وإعطاء الدور بشكل دائم لرفيق السبيعي.

* حكمت محسن ورفيق السبيعي :

وحضر حكمت محسن أحد عروض مسرحية (القادم من أمريكا)، بعد أن انتقل دور (العتال) إلى رفيق السبيعي، ولاحظ إجادة السبيعي لدوره في المسرحية، فذهب إليه في كواليس المسرح وهنأه وتنبأ له بمستقبل باهر في التمثيل، قائلاً له (أنت ستصبح نجماً). ودعاه للمشاركة معه في تمثيلياته الإذاعية. وكان وقتها حكمت محسن يقدم برنامجاً تمثيلياً بعنوان (تحت الشباك). وكان البرنامج من النوع الشعبي، ينتقد العادات السيئة المنتشرة في مجتمعنا. فكانت أول مشاركة إذاعية لرفيق السبيعي في هذا البرنامج.



رفيق سبيعي

* تفرغـه للإذاعـة :

منذ ذلك اليوم من عام ١٩٥١، والذي قابل فيه حكمت محسن مدير إذاعة دمشق أحمد عسة، تفرغ للإذاعـة تفرغـاً شبه كامـل. وبـدأ يكتب التمثيليات والمسلسلات والبرامج ضمن الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا، والتـي أفـضنا في شرحهـا في الفـصل الثـاني. وهنـا ابتكـر شخصية (أبو رشدي) الشعبية التي كان يقدمها بنفسه، سواء راوياً قبل بدء التمثيلية أو ممثلاً فيها.

ومنذ اليـوم الأول لـدخول حكمـت محسن إذاعـة دمـشق، تـولى تيسير السعدي إخراج التمثيليـات والـبرامج التـي كـان يكتبهـا. بـل إن الاثنين شكّلا ثنائياً فنياً ناجحاً، استمر حتى رحيل حكمت محسن عـام ١٩٦٨. امتزج الاثنان روحاً وفكراً، ليثمر ذلك عن مرحلة فنيـة ذهبيـة للتمثيلية الإذاعية في إذاعة دمشق، امتدت بين عـامي ١٩٥١ و١٩٦٨، بـدأت في إذاعـة الـشرق الأدنـى ثـم اسـتمرت في إذاعـة دمـشق، أخـرج تيسير السعدي خلالها كل تمثيليات وبـرامج حكمـت محـسن، عـدا مـرة واحدة أخرج فيها مخرج شاب أربع تمثيليات لمحسن، فخرج أبو رشدي شخصاً آخر لاعلاقة له بأبي رشدي حكمت محسن. ومن يومها لم يقبل أن يخرج تمثيلياته غير تيسير الـسعدي. عـن تلـك العلاقـة الوطيـدة بـين الاثنين كان حكمت محسن يقـول لتيـسير الـسعدي (أنـا وأنـت امتزجنـا روحياً، ولايمكن أن نفـترق أبـداً). أمـا تيـسير الـسعدي فيتحـدث عـن ذكرياته مع محسن قائلاً (سنوات ونحن نأكل ونشرب معاً، ونسهر معاً، ونناقش التمثيليات معاً).

في الواقع لدى عودتي إلى أعداد مجلة الإذاعة السورية التي كانت تصدر عن إدارة الإذاعة، من عددها الأول الذي صدر في الأول من أيلول عام ١٩٥٣، وكان كل عدد يتضمن عرضاً تفصيلياً لبرامج الإذاعة في نصف شهر، إذ كانت المجلة نصف شهرية، وقبلها إلى النشرات نصف الشهرية التي تصدرها وتتضمن عرضاً تفصيلياً لبرامج الإذاعة. لم أجد لحكمت محسن أي تواجد حقيقي في تمثيليات الإذاعة حتى شباط عام ١٩٥٤، حيث أذيعت له تمثيلية (الخلف) والتي بثت يوم السبت في الثاني من شباط من نفس العام الساعة الثامنة إلا ربع مساء. ثم توالت تمثيلياته بشكل غير منتظم، فكان منها تمثيلية (حظك بختك) التي أذيعت يوم الجمعة السادس عشر من نيسان في نفس الموعد السابق.

لكن منذ بداية شهر أيار الذي صادف أيضاً بداية شهر رمضان، أصبح ظهور تمثيليات حكمت محسن كثيفاً ومنتظماً. إذ كان يقدم حلقات تمثيلية مفردة بعنوان (تمثيلية شعبية) كل سبت وثلاثاء وخميس، وتعاد كل تمثيلية في اليوم التالي.

في البداية كان حكمت محسن يتقاضى أجره على الإنتاج. وفي عام ١٩٥٤ أحدثت شعبة التمثيليات في إذاعة دمشق، وتولى ممتاز الركابي رئاستها، فقام بتعيين حكمت محسن فيها براتب قدره /١٢٠/ ليرة سورية شهرياً. ومنذ عام ١٩٥٦ وهو العام الذي توقفت فيه إذاعة الشرق الأدنى عن البث، انحصرت كتاباته لإذاعة دمشق.

* **أعمال إذاعية منوعة :**

تنوعت الأعمال التي كتبها وقدمها حكمت محسن في إذاعة دمشق في أشكالها ومضامينها، مابين التمثيلية والبرنامج والمسلسل. قدم العديد من الأعمال الدرامية الإذاعية المسلسلة، وحلقات كل سلسلة يربط بينها خيط مشترك. وهذه الأعمال هي :

١ - معليش :

(معليش) كانت البداية. وهذه الكلمة كانت القاسم المشترك بين جميع تمثيليات السلسلة. على سبيل المثال، في محل لتصليح السيارات، في مشهد الأجير يسأل معلمه :

- معلمي البرغي بايظ هل أركبه؟

فيجيبه المعلم (معليش). وفي مشهد ثان تظهر المؤثرات الصوتية زعيق السيارة وصوت كوابحها وهي تتعرض لحادث تدهور نتيجة البرغي (البايظ).

وفي تمثيلية أخرى مشهد أناس في الشارع يمسكون بطفل يسرق، يتقدم أحدهم ويقول (معليش). وفي المشهد التالي يكبر الولد ويصير لصاً محترفاً. وهكذا في كل حلقة يبين العواقب الوخيمة لكلمة (معليش). صحيح أن كل هذه السلاسل جاءت في إطار كوميدي ضاحك. لكنه لم يكن ضحكاً مجانياً، وإنما كان ضحكاً موظفاً في إطار اجتماعي ناقد.

٢ - الخطابة :

مسلسل اجتماعي في حلقات. بث خلال شهر رمضان. وتقوم (أم كامل) فيه بدور الخطابة، حيث تبحث لابنها رشدي عن عروس مناسبة. فتطرق الأبواب وتدخل البيوت، وتقابل نماذج مختلفة من الناس وتقدم للمستمع عاداتهم السلبية والإيجابية.

٣ - السندباد :

مسلسل في ثلاثين حلقة اقتبسه حكمت محسن من حكاية السندباد المعروفة، إنما وظفها محسن في تناوله للواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لسورية في منتصف القرن العشرين بعد الجلاء. وقدمته إذاعة دمشق في شهر رمضان الذي جاء في عام ١٩٥٨ .

٤ - مرايا الشام :

مسلسل تراثي بحلقات منفصلة عن بعضها. وكل حلقة تروي قصة فنان سوري قديم من االفنانين غير المشهورين، فيعرف بهم وبفنهم في إطار درامي غنائي. وفيها مزج حكمت محسن بين الواقع والسير الشعبية مثل (ألف ليلة وليلة) و(السندباد). ومن الفنانين الذين قدمهم (سعدو حني كفك) و(أبو علي الحكواتي) و(علي الكركوزاتي) و(عزو القاق) و(عمشة الرقاصة) والمطربتان (سعدية مكنو) و(بديعة شخلع). وبعض هذه الشخصيات حقيقي وبعضها الآخر من نسج خيال حكمت محسن.

٥ - صور شعبية :

مسلسل اجتماعي يقدم صوراً من حياة الناس والمشكلات الاجتماعية التي تعترضهم.

٦ - مذكرات حرامي:

مسلسل اجتماعي يعالج الأسباب التي تدفع الإنسان للسرقة. وهو أول مسلسل بوليسي تقدمه إذاعة دمشق. وموضوعه مستقى من البيئة الشعبية. ومن أجل أن تكون حكاياته واقعية جداً، لجأ حكمت محسن إلى مصاحبة (شيخ الحرامية). واستمع منه إلى ذكرياته مع السرقات، فدونها واستفاد منها في حلقات المسلسل.

وفي عام ١٩٦٨ تم تحويله إلى مسلسل تلفزيوني قام بإخراجه علاء الدين كوكش، وشارك بالتمثيل فيه عبد الرحمن آل رشي وهاني الروماني وعمر حجو وسلوى سعيد وشاكر بريخان وآخرون، وحقق المسلسل نجاحاً كبيراً.

٧ - تمثيليات اجتماعية:

قدم حكمت محسن سلسلة من التمثيليات الاجتماعية المستقلة عن بعضها زاد عددها عن خمس وعشرين تمثيلية. وكل تمثيلية تناولت موضوعاً اجتماعياً من صميم حياتنا، وجاءت في قالب كوميدي ناقد. وهذه التمثيليات هي(الضيف اللطيف)، (المتسول)، (العيرة ما بتدفي)، (بياع الصبر) ، (بصارة براجة) ، (المخترع) ، (الكاس التاني) ، (كوم حجار ولا هالجار) ، (المراهنة) ، (الكسلان)،(الناس اللي تحت) ،

(الجار ولو جار) ، (الولد قطعة من الكبد) ، (الثروة الخضراء) ، (الضرة مرة) التي بثت يوم السبت ٢٢ حزيران عام ١٩٥٧ الساعة /٣،٢٥ / عصراً ، و(الأب) ، (الانفلونزا) ، (دامت الأفراح) ، (حمام الهنا) ، (منزل الأحباب) ، (إقلاق راحة) ، (ألو نعم) ، (فرحة العيد) التي بثت يوم الأربعاء الأول من ايار عام ١٩٥٧ ، والذي صادف أول أيام عيد الفطر ، و(الطلعة من ورا والنزلة من قدّام)،(خناقة الناس الطفرانين)، (المصور)، (العصابة)، (يا آخد القرد على ماله) التي أذيعت يوم الجمعة ٢٤ /٩ /١٩٥٤ . وفي كل تمثيلية كان حكمت محسن يقوم في بدايتها بدور الراوي بشخصية (أبو رشدي)، حيث يمهد للتمثيلية بكلام زجلي. وسوف نتوقف عند اثنتين من هذه التمثيليات كنموذجين، ولكونهما نالتا شهرة واسعة عند بثهما عبر ميكرفون الإذاعة. الأولى تمثيلية (الميكرفون في العيد):

يمهد حكمت محسن للتمثيلية بالمقطوعة الزجلية التالية:

زميرتك ياولد...

خشخيشتك ياولد...

نفيختك ياولد...

سيداتي سادتي المحترمين

أنا الميكرفون سعيد مع يللي سعيدين

اليوم العيد العيد السعيد

كل سنة وانتو سالمين

ماشي وداير ومتابع
بالجولة شارع شارع
وعم سجل بدربي دروس
بتهواها ادن السامع
امشوا حتى نتدرج وبالمعيّه نتفرج
اسمو شفنا لب السوق
وع اللي دق واللي هرج
باقي علينا نشوف جديد
إن كنت بتأمر وتريد
شرّف معي لورجيك
على بعض نواحي هالعيد
شو بدنا بالدويخه بالمريكب والعيار
ويللي بتمه نفيخه
واللي واقف يبلع نار
تفضل لحتى ورجيك
شو عم يجرى بربوعك
فرجه تضحكك وتسليك
وتغرغر منها دموعك

بعد ذلك تبدأ التمثيلية التي يشارك فيها أبو فهمي وأم كامل وأبو ابراهيم وطفلة. والتمثيلية اجتماعية تدعو إلى الإحسان للفقير كي يشارك الغني في فرحة العيد.

والتمثيلية الثانية (الطلعة من ورا والنزلة من قدام). وقدمتها الإذاعة في ستينيات القرن العشرين. ويومها كان الصعود إلى باصات النقل الداخلي من الخلف والنزول من الأمام، بعكس اليوم. وكان الناس يصعدون إلى الباصات بشكل فوضوي، ومنهم من يحاول الصعود من الأمام أو النزول من الخلف لقربه من الباب الخلفي. فكتب حكمت محسن وقدم هذه التمثيلية التي تدعو الناس إلى التقيد بالنظام والصعود من الخلف والنزول من الأمام. وفي التمثيلية تغني أم كامل عبارة (الطلعة من ورا والنزلة من قدام) منغمة، فشاعت العبارة على لسان الناس. وكان للتمثيلية تأثير كبير بين الناس، إذ سرعان ماأخذوا يتقيدون بنظام الركوب بالباصات.

٨ - العصابة :

هي تمثيلية من حلقة واحدة، قدمتها إذاعة دمشق. وبعد افتتاح التلفزيون تم تقديمها كتمثيلية تلفزيونية. وتعتبر هذه التمثيلية من أروع ما كتبه حكمت محسن في التراجيديا. وقام بنفسه بتمثيل دور رئيس العصابة في النسخة الإذاعية. فبعد أن تمسك الشرطة بالسارق يعترف بأن لديه عصابة. وعندما يطلب منه رجال الشرطة إرشادهم إلى مقر العصابة، يأخذهم ويصل وإياهم إلى دار فقيرة. ويُدخلهم ليروا أسرة

كبيرة يفترش أفرادها الأرض. ويقول للشرطة هذه عصابتي التي سرقت من أجلها.

٩ - أطفالنا أكبادنا :

في صيف عام ١٩٥٧ شاركت سورية في مهرجان الشباب العالمي بموسكو بوفد كبير. وكانت الفرقة السورية للموسيقا والتمثيل – التي كان حكمت محسن عضواً فيها – ضمن الوفد السوري. لكن ظروفاً خاصة منعته من السفر مع الفرقة. وقبيل السفر أخذ أعضاء الفرقة يمزحون معه، متسائلين ماذا سيفعل حكمت محسن أثناء غيابهم؟..وكردٍ على هذا التساؤل قام محسن بكتابة مسلسل إذاعي للأطفال بعنوان (أطفالنا أكبادنا) الذي يتحدث عن مأساة الأطفال المشردين والأيتام. ولما كان جميع الممثلين في الفرقة قد سافروا إلى موسكو، فقد جعل محسن الأطفال هم أبطال المسلسل. وتم تقديم المسلسل عبر أثير إذاعة دمشق. وفوجئ أعضاء الفرقة بعد عودتهم من موسكو بالنجاح الكبير الذي حققه حكمت محسن من خلال هذا المسلسل بدونهم.

١٠ - ثورة شعب :

برنامج تمثيلي وطني عن نضال الشعب الجزائري الشقيق ضد المستعمر الفرنسي. وأذيعت الحلقة الأولى يوم الأربعاء التاسع عشر من حزيران عام ١٩٥٧ الساعة العاشرة والنصف ليلاً، والثانية في الثامن والعشرين من نفس الشهر وفي نفس الموعد.

١١ - مسرح الإذاعة :

بثت الحلقة الأولى منه يوم الاثنين السابع عشر من حزيران عام ١٩٥٧ الساعة /٣،٢٥/ عصراً. واستمر لحلقتين فقط، حيث أذيعت الحلقة الثانية في اليوم التالي وفي نفس التوقيت.

١٢ - اضحك تربح :

برنامج تمثيلي كوميدي منوع، بثت الحلقة الأولى منه يوم الأربعاء ٢٦ حزيران عام ١٩٥٧ الساعة الثالثة والربع عصراً. واستمر لعدة حلقات بثت في أوقات متفرقة غير منتظمة.

ومن البرامج التمثيلية المسلسلة الأخرى التي كتبها وقدمها حكمت محسن (حكايا الجدة)،(طاقية الإخفاء)،(متعب أفندي) التي كتبها أثناء مرضه ولم يكملها، و(مأوى العجزة) التي كتب أيضاً منها حلقة واحدة، وكتب أربع صفحات من الحلقة الثانية، ورحل دون أن يكملها. ليزيد عن الحلقات الإذاعية التي قدمها سواء في مسلسلات أو حلقات مفردة عن ثمانمئة حلقة.

وكتب حكمت محسن العديد من التمثيليات المفردة الخاصة بمناسبات وطنية. منها – على سبيل المثال – تمثيلية (أبو جلاء) عن نضال شعبنا ضد المحتل الفرنسي، حتى نال حريته واستقلاله. وشارك بالتمثيل فيها حكمت محسن (أبو رشدي) ورفيق السبيعي (أبو صياح). وأيضاً تمثيلية (دموع الفرح) عن عيد الجلاء أيضاً.



الفرقة السورية في إذاعة الشرق الأدنى ويبدو من اليمين طيبو الصيداوي وتيسير السعدي وأنور البابا وكامل قسطندي (المخرج) وحكمت محسن ودلال شعراوي وفهد كعيكاتي وعبد السلام أبو الشامات



الفرقة السورية أثناء تسجيل إحدى التمثيليات في إذاعة الشرق الأدنى عام ١٩٥١ ويتوسطها حكمت محسن



أثناء تسجيل إحدى التمثيليات الإذاعية في إذاعة دمشق
حكمت محسن على اليمين وعلى يمينه فهد كعيكاتي
وأنور البابا وتيسير السعدي

الفَصْلُ الرَّابِعُ

حكمت محسن والتلفزيون

- برنامج نهوند
- نهاية سكيّر
- مذكرات حرامي
- إطلالات إعلامية قليلة
- محكمة الفن
- سهرة مع فنان
- ندوة الإذاعة السورية

في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٦٠ بدأ التلفزيون إرساله باسم (التلفزيون العربي - دمشق). وتهافت الفنانون إليه يريدون الظهور على شاشته. إلا حكمت محسن الذي كان مشغولاً في نشاطات أخرى، في مقدمتها نشاطاته الإذاعية التي سبق وأن تحدثنا عنها. وبصورة عامة فإن نشاطاته في التلفزيون كانت قليلة لم تتعد عدة مشاركات، سنتحدث عنها فيما يلي من السطور. ومن أسباب ذلك مرضه ورحيله عام ١٩٦٨، أي في السنوات الأولى من تأسيس التلفزيون. وفي الواقع فإن حكمت محسن لم يكتب شيئاً خصيصاً للتلفزيون إلا قليلاً. لذلك سوف نتحدث هنا عن البرامج والأعمال الدرامية التي كتبها وأعدها للتلفزيون، ونشير إلى الأعمال الإذاعية الأخرى التي قام بإعادة كتابتها لتقدم عبر الشاشة الصغيرة.

*** برنامج نهوند:**

برنامج (نهوند) من أهم البرامج التمثيلية المنوعة التي قدمها التلفزيون العربي السوري خلال مسيرته الطويلة. وكتبه حكمت محسن بطلب من إدارة التلفزيون. ويحمل نفس فكرة المسلسل الإذاعي (مرايا الشام)، وتناولت حلقات برنامج (نهوند) الفنانين الذين شهدتهم دمشق أيام أبي خليل القباني ومابعد في القرن التاسع عشر، حيث بدأت تتشكل الفرق المسرحية تحت اسم (الكوميضة) وهي تحوير عامي

لكلمة (كوميديا)، وهم نفس الأسماء التي ذكرناها في حديثنا عن البرنامج الإذاعي (مرايا الشام)، ولابد من الإشارة إلى أن الشخصيات التي قدمها حكمت محسن سواء في برنامجه الإذاعي (مرايا الشام) أو في برنامج (نهوند) ليست جميعها شخصيات حقيقية، وإنما استوحى محسن بعضها من الأجواء الفنية والاجتماعية في تلك المرحلة. وقام ببطولة معظم الحلقات الفنان رفيق السبيعي. الذي مثل العديد من تلك الشخصيات، والتي منها شخصية المطرب والملحن (سعدو حني كفك) الذي يقوم في إحدى حلقات البرنامج بتحفيظ المطربة (سعدية مكنو) أحد ألحانه. ومن الأغنيات التي قدمها في تلك الحلقة (حبك بقلبي دوم ساكن مطرحو)، وهي من كلمات وألحان الفنان زهير منيني. ويقول مطلعها :

حبك بقلبي دوم ساكن مطرحو

ودموع عيني ع الخديد ماتبرحو

عامل محبك متل ماقال المتل

اللي بسلمك مدبحو لاتدبحو

وشارك في البرنامج إضافة إلى رفيق السبيعي الممثلون تيسير السعدي ونزار فؤاد ونور كيالي ومحمد العقاد وفهد كعيكاتي بشخصية (أبو فهمي)، وأخرجه جميل ولاية. كما شاركت فرقة أمية للفنون الشعبية بالرقصات والاستعراضات الغنائية الي تضمنتها حلقات البرنامج.

* نهايـة سـكيّر :

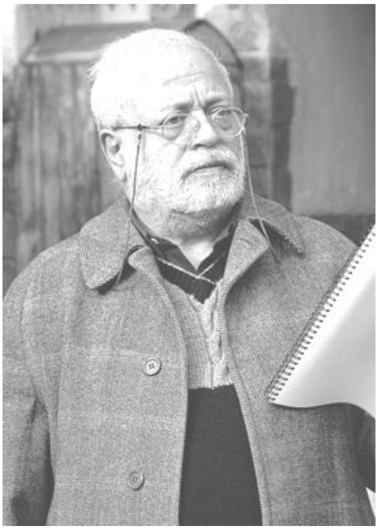
تمثيلية اجتماعية من حلقة واحدة، تقدم صورة عن الرجل الـذي يـدمن تعـاطي الكحـول. وتبـين العواقـب الوخيمـة لـه. وهـي تمثيليـة تراجيدية تصور النهاية المأساوية لهذا الرجل الذي يدمر بيته ويخسر كل شيء من أجل الكحول. قدمها التلفزيون العربي السوري في بدايته عـام ١٩٦١، وأخرجها نزار شرابي وقام ببطولتها الممثل صبري عياد. وهـي في الأساس تمثيلية إذاعية.

* مذكرات حرامي :

وهو نفس المسلسل الإذاعي الذي تحدثنا عنه في الفصل الثالث. وفي عام ١٩٦٨ تـم تحويلـه إلى مسلسل تلفزيـوني، قـام بإخراجه عـلاء الـدين كـوكش، وشـارك بالتمثيـل فيـه عبـد الـرحمن آل رشي وهـاني الروماني وعمر حجو وسلوى سعيد وشاكر بريخان. وحقـق المسلسل نجاحـاً جماهيريـاً واسـعا. وحتـى يكـون المسلسل واقعيـاً وقريـب مـن الحقيقة بدقائقه، جلس حكمـت محسن سـاعات مع شـيخ الحراميـة في دمشق. وسمع منه حكايات كثيرة، ضمنها مسلسله.

وعلاء الدين كوكش أكثر المخرجين الـذين أخرجـوا للتلفزيـون أعمالاً درامية لحكمت محسن. فإضافة إلى مسلسل (مـذكرات حرامـي)، حـدثني عـن أربـع تمثيليـات مفـردة مـن تـأليف حكمـت محسن قـام بإخراجهـا تلفزيونيـاً عـام ١٩٦٨، خـلال مـرض محسن الـذي انتهـى بوفاته في نهاية العام نفسه، وذلك بعد أن قام زكريا تـامر بإعـدادها عـن

تمثيليات إذاعية كان الفنان محسن قد قدمها عبر أثير إذاعة دمشق. وهذه التمثيليات هي :



علاء الدين كوكش

١ - خناقة الناس الطفرانين:

وشارك بالتمثيل فيها عدد من الممثلين في مقدمتهم أنور البابا بشخصية (أم كامل).

٢ - المصور :

ومثل فيها فهد كعيكاتي بشخصية (أبو فهمي) وملك سكر ويوسف حنا.

٣ - العصابة :

وشارك بالتمثيل فيها فهد كعيكاتي وعبد الرحمن آل رشي.

٤ - **وتمثيلية رابعة** لم تسعفه ذاكرته بتذكر اسمها. والممثلين فيها.

إطلالات إعلامية قليلة

إطلالات حمكت محسن الإعلامية كانت قليلة جداً، سواء عبر شاشة التلفزيون أو الإذاعة أو الصحافة. فحسبما توصلنا إليه. لم يظهر على شاشة التلفزيون إلا مرتين. الأولى في برنامج (محكمة الفن) والثانية في برنامج (سهرة مع فنان)

* **محكمة الفن :**

برنامج فني يتم في كل حلقة استضافة فنان يتحدث عن مسيرته الفنية. ويكون اللقاء معه على شكل محكمة فيها نائب عام هو معد ومقدم البرنامج المذيع ماجد شبل وثلاثة قضاة هم الفنانين مصطفى هلال ونهاد قلعي وشاكر بريخان. ويقوم الضيف بالإجابة على أسئلة القضاة. وخصصت إحدى الحلقات للفنان حكمت محسن.

سأله مصطفى هلال :

- المعروف عنك في تمثيلياتك أن اسمك (أبو رشدي) بينما اسمك في الواقع (أبو أيمن) ؟

أجاب حكمت محسن :

- لهذا الاسم قصة، قصة تسميتي (أبو رشدي). أول تمثيلية كتبتها بحياتي للإذاعة حملت فيها اسم (أبو رشدي). لما أخذت التمثيلية إقبالاً عند الجماهير، وأخذ على لسانهم اسم (أبو رشدي)، فكانوا يقولون (اسمعتوا أبو رشدي... اسمعتوا أبو رشدي شو قال... شو حكى؟). فقلت لنفسي (خود اسم أبو رشدي). وأبو رشدي من الرشد.

وعندما سأله شاكر بريخان :

- ياترى هل لك مصدر تعتمد عليه في كتاباتك تستفيد منه، أم هي من بنات أفكارك؟

أجابه حكمت محسن:

- لايوجد شيء من بنات أفكاري. مرة واحد صحفي وجه لي تقريباً شبه هذا السؤال قال لي (في كل رمضان انتظرك لأراك متى سوف تفلس؟.. متى ستتوقف عن الكتابة؟). وكنا واقفين في الشارع، فقلت له (انظر إلى الناس الرائحة القادمة في الشارع، عندما لاترى أناساً اعرف أنك لا تلاقي قصصاً. طالما هناك أناس رائحين قادمين فهناك قصص. قصصي آخذها من واقع شعبنا من واقع حياتنا من واقع تقاليدنا من واقع مجتمعنا). ليست خيالاً ولكن قد أضيف عليها بعض الخيال لكن القصة الحقيقية آخذها من واقع مجتمعنا.

وسأله مصطفى هلال :

- هناك أناس شاهدوك في طريق منفرد واضعاً يدك بيد واحد حرامي. وبعد كم يوم فاجأت الناس بحلقات تمثيلية مسلسلة بعنوان (مذكرات حرامي).

أجاب حكمت محسن :

- أنا أجول بأفكاري، أنا أدخل بيوت الناس بأفكاري. وآخذ منها مواضيع قصصي. وجدت من الضروري إدخال نوعٍ جديدٍ من البرامج من حياتنا الواقعية نوع بوليسي مثير ومشوق ومحبب للجمهور كتبته. هذا الرجل الذي ذكرته هو شيخ الحرامية. كان قد كتب مذكراته، أعطاني مذكراته أخذت أنا هذه المذكرات، أخذت منها القصص ووضعت عليها فلفل وبهارات.

* سهرة مع فنـــان :

برنـامج تلفزيـوني كـان يعـده ويقدمـه الإعلامـي نـذير عقيـل في مطلـع الـستينيات مـن القـرن العـشرين، وكـان حكمـت محسن ضـيف إحدى الحلقات. والبرنامج كان على شكل مقابلة مـع حكمـت محسن، وكانـت تقـدم خلالهـا مـشاهد تمثيليـة مـن أعـمال الفنـان محـسن. ومـن الممثلين الذين شاركوا في تقديم المشاهد التمثيلية رفيـق الـسبيعي وفهـد كعيكاتي ومحمد خير حلواني.

* ندوة الإذاعة السورية :

وفي الإذاعـة لم نعثـر لـه إلا عـلى إطلالـة وحيـدة، كانـت في (نـدوة الإذاعة السورية). وهي ندوة دورية عام ١٩٥٣، وكان يعدها ويديرها الدكتور صباح قباني عبر أثير إذاعة دمشق، وتتناول في كل حلقة قـضية ثقافية أو فكرية أو فنية، ويشارك فيها عدد من المختصين في كل مجال.

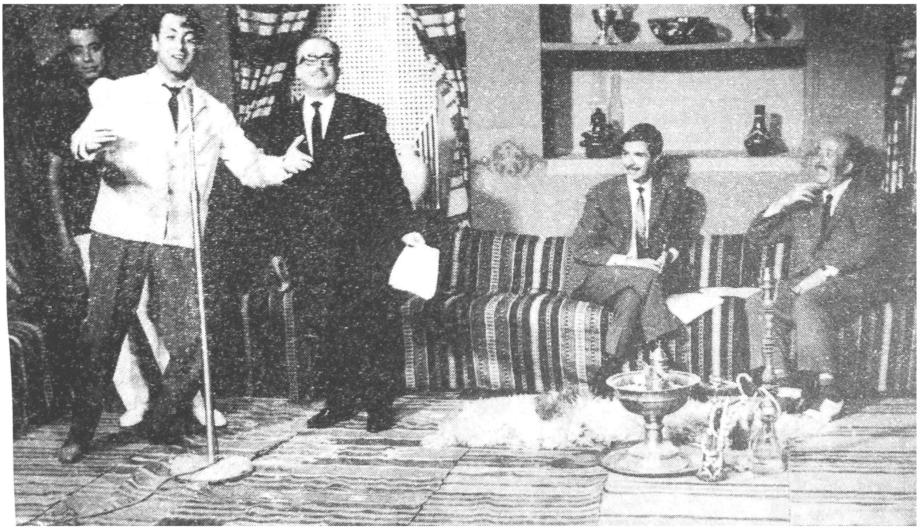
والندوة التي نحن بـصددها الآن انعقـدت في شـهر كـانون الأول عـام ١٩٥٣، وحملـت عنـوان (شـؤون التمثيـل المـسرحي والإذاعـي). وشارك فيها كل من مدير الإذاعة أحمد عـسة وحكمـت محـسن وتيـسير الـسعدي ووصـفي المـالح وممتـاز الركـابي (رئـيس دائـرة التمثيليـات في إذاعة دمشق) وأكرم الميداني. ومما قاله الفنان حكمـت محـسن في النـدوة للتدليل على أهمية المسرح في اكتشاف وتطـوير المواهـب الفنيـة، وجعـل من نفسه مثالاً على دور المسرح في اكتشاف المواهـب الفنيـة وفي ازدهـار الحركة التمثيلية بصورة عامة. يقول محسن :

(الحمد لله على أني أعتق في هذا (الكار) من الذبيب، فلا دخل لي لا بالحصرم ولا بـ (الجلاب). غير أنني أقول لو لم يسبق لي أن ارتدت المسرح والأجواق، وشاهدت الفرق التمثيلية الكثيرة التي كانت تزور بلادنا، لما فكرت يوماً أن أنتفع من موهبتي التي أرشدني إليها المسرح. وهذا شأن الناشئة اليوم، لايمكنهم أن يتحسسوا مواهبهم التمثيلية إن لم يكن في بلادنا مسرح، بصرف النظر عن الدرجة المتفوقة أو غير المتفوقة التي يمكن أن يطالع بها الناس).

وكان من تقاليد مجلة الإذاعة السورية التي كانت تصدر عن إدارة الإذاعة، أن تنشر مضامين تلك الندوات وصورها. وبالفعل نشرت مضمون هذه الندوة في عددها رقم /٨ / السنة الأولى الصادر بتاريخ ١٦/ / كانون الأول ١٩٥٣.



تمثيلية نهاية سكير إخراج نزار شرابي



سهرة مع فنان ويبدو في الصورة
من اليمين حكمت محسن ونذير عقيل والممثلون فهد كعيكاتي
ورفيق السبيعي ومحمد خير حلواني في مشهد تمثيلي



حكمت محسن في ندوة الإذاعة السورية بإدارة الدكتور صباح قباني

الفصل الخامس

حكمت محسن والمسرح

- المسرح الشعبي
- مسرحيات حكمت محسن
- الكرسي المخلوع
- صابر أفندي
- يوم من أيام الثورة السورية
- فرقة المسرح الشعبي
- يامستعجل وقف لقلك
- بيت للآجار
- مقدمة ممتاز الركابي
- معركة جسر تورا

ذكرنا فيما سبق من الحديث أن بدايات حكمت محسن الفنية كانت من خلال المسرح الذي ازدهر في ظل الأندية الفنية التي كانت موجودة بكثرة في دمشق. وظل إيمانه راسخاً بان المسرح هو الميدان الحقيقي لأي فنان موهوب. وهذا ما أكده في كلامه السابق الذكر في الندوة الإذاعية عن شؤون المسرح والتمثيل. وعلى الرغم من أن الإذاعة أخذته واحتكرته منذ عام ١٩٥١ وحتى رحيله، إلا أنه لم ينس المسرح. وإذا كان قد توقف عن التمثيل في المسرح، فإنه كان متواجداً فيه بقوة من خلال تأليف المسرحيات، ومشاركته لفترة قصيرة في الحركة المسرحية مشرفاً، ولن نتوقف هنا عند مشاركاته المسرحية ممثلاً، لأننا تحدثنا عنها في الفصول السابقة، وإنما سوف نتناول في هذا الفصل المسرحيات التي كتبها ونشاطاته المسرحية الأخرى.

* المسرح الشعبي :

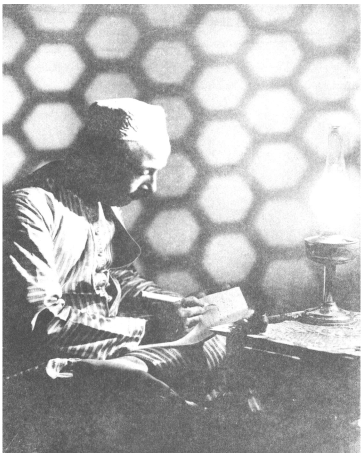
يمكن تصنيف كل المسرحيات التي كتبها حكمت محسن وتلك التي مثل فيها ضمن مصطلح (المسرح الشعبي). ويتحقق هذا التصنيف من خلال ثلاثة أمور.

الأمر الأول اللغة التي كتبت فيها المسرحيات، وهي اللغة أو اللهجة العامية السائدة بين الطبقات الشعبية. والأمر الثاني المواضيع

والقضايا التي تناولتها المسرحيات التي كتبها حكمت محسن أو مثّل فيها، وهي قضايا مستمدة من عمق معاناة الطبقات الشعبية الفقيرة. أما الأمر الثالث فهي الشخصيات أو شخوص المسرحيات، وجميعها شخصيات شعبية مثل (أبو رشدي) و(أبو فهمي) و(أم كامل) و(أبو إبراهيم).

* فرقة المسرح الشعبي :

انطلاقاً من هذا التوصيف لمسرح حكمت محسن، كلفته وزارة الثقافة عام ١٩٥٩ بتشكيل فرقة المسرح الشعبي بالتوازي مع تشكيل فرقة المسرح القومي، وتخصصت هذه الأخيرة بتقديم المسرحيات باللغة العربية الفصحى سواء المترجمة منها أو لكتاب مسرحيين عرب. أما فرقة المسرح الشعبي فتخصصت بتقديم المسرحيات باللهجة العامية. واستمر حكمت محسن في تولي إدارة المسرح الشعبي حتى عام ١٩٦٦، وعندما داهمه المرض تولى عبد اللطيف فتحي إدارة المسرح حتى انفراط عقده عام ١٩٦٨. وكانت باكورة نشاط هذا المسرح تقديمه مسرحية (بيت للإيجار) تأليف حكمت محسن. وتم عرضها بناء على طلب حكمت محسن في أحياء سوق ساروجة والميدان والمهاجرين وغيرها من أحياء دمشق. بعد ذلك تعرض هذا المسرح لحرب شعواء من النخبة المثقفة التي كانت تريد فقط مسرحاً كلاسيكياً باللغة الفصحى. وفي عام ١٩٦٨ شهد هذا المسرح نهايته بعد قرار دمجه مع المسرح القومي.


حكمت محسن الكاتب

كتب حكمت محسن خلال حياته أربع مسرحيات، تنوعت مواضيعها. إلا أنها تشترك جميعها بأنها مستوحاة من صميم المجتمع. ويسلط فيها الضوء على المشكلات الاجتماعية ومعاناة الطبقات الفقيرة. وإذا كان حكمت محسن قد اشتهر بكتاباته الكوميدية، فإن مسرحياته تتسم بانتمائها إلى التراجيديا، على الرغم من وجود (القفشات) المضحكة، إلا أنه ضحك أبلغ من البكاء. وأكثر ما نلمس هذا الجانب المأساوي في مسرحية (صابر أفندي) التي هي من أهم مسرحياته، والتي ضمنها كل معاناته في الحياة. وسوف ننشر نص المسرحية كاملاً في ملحق خاص.

* يامستعجل وقف لقلك :

وهي مسرحية كوميدية من فصل واحد، كتبها حكمت محسن عام ١٩٥٤ وأخرجها تيسير السعدي، وقدمتها الفرقة السورية للتمثيل والموسيقا. وضمت المسرحية شخصيات (أبو رشدو، أم كامل، أبوفهمي، أبو صياح، أبو إبراهيم)، ومثل الشخصيات حسب الترتيب حكمت محسن وأنور البابا وفهد كعكاتي ورفيق السبيعي ويا سين الدركزللي.

وملخص المسرحية أن مجموعة شخصيات المسرحية اتفقوا على الاجتماع في منزل (أبو فهمي) استعداداً للذهاب إلى منزل أهل الفتاة التي يريدون خطبتها لابراهيم ابن أبي ابراهيم. ووصلوا إلى منزل (أبو فهمي) وقد تأخروا قليلاً عن الموعد. وعندما أزمعوا على الانطلاق، أخذ (أبو فهمي) يطلب منهم الانتظار، مرة ليرتدي ثيابه، وتارة أخرى ليخيط زر الجاكيت المقطوع، ثم ليغلق باب السطح المفتوح وليحلق ذقنه وأخيراً ليأكل. وهنا يأتي (أبو فهمي) برغيف خبز وبصحن فيه لبن ليأكل، فيضيق (أبو رشدي) به ذرعاً، ويأخذ من يده صحن اللبن ويسكبه على رأسه ووجهه (رأس ووجه أبي رشدي). وعندما تبدأ الستارة بالانسدال معلنة نهاية المسرحية يمسك (ابو فهمي) بقطعة خبز، ويمسح بها اللبن عن رأس (أبو رشدي) ويضعها في فمه، وهو يتوجه إلى الجمهور قائلاً (تفضلوا كلوا معنا).

* الكرسي المخلوع :

وهي مسرحية كوميدية بامتياز. الهدف منها إضحاك الجمهور. كتبها حكمت محسن عام ١٩٥٧ وأخرجها تيسير السعدي، وقدمتها الفرقة السورية. وتعتمد المسرحية على إضحاك الجمهور من خلال وقوع الممثلين أرضاً عند جلوسهم على كرسي بثلاث قوائم. وقدمت المسرحية في دمشق وبيروت، وفي عهد الوحدة بين سورية ومصر (١٩٥٨ - ١٩٦١) سافرت الفرقة السورية إلى مصر، وقدمت المسرحية ومسرحيات أخرى في الاسكندرية والقاهرة. وفي تلك الرحلة تم تكريم حكمت محسن وتيسير السعدي.

* **بيت للآجـار :**

هي مسرحية تتحدث عن مشاكل الإيجار وأزمة السكن في قالب كوميدي. كتبها حكمت محسن عام ١٩٦١، وهي أول مسرحية تقدمها فرقة المسرح الشعبي. وشارك بالتمثيل فيها محمد علي عبده وأحمد أيوب ونور كيالي ورفيق السبيعي وميليا فؤاد وفريال كريم وعبد الله النشواتي وغيرهم، وأخرجها تيسير السعدي. وعرضت على مسرح سينما فريال التي أصبح اسمها فيما بعد سينما القاهرة، ثم زالت عن الوجود، وكان موقعها في أول طريق الصالحية على الجانب الأيمن مكان بناء شركة الضمان السورية حالياً.

مسرحية صابر أفندي

لعل أهم ما كتبه حكمت محسن كان مسرحيتي (صابر أفندي) و(يوم من أيام الثورة السورية)، على أهمية جميع ما كتبه مسرحياً وإذاعياً وتلفزيونياً.

ومسرحية (صابر أفندي) تعتبر بحق من عيون المسرح في سورية. وهي مسرحية طويلة تقع في ثلاثة فصول، وتتحدث عن معاناة المستأجر مع صاحب البيت الذي لايقدر ولايفهم وضع المستأجر إذا ما تأخر في دفع أجرة البيت لبعض الوقت نتيجة ظروف مادية قاسية يمر بها المستأجر. ومن خلال هذه القضية تسلط المسرحية الضوء على العلاقات الاجتماعية القائمة على النفاق والتزلف والإسراف في الحياة وغيرها من المثالب الاجتماعية.

وجرى عرض المسرحية مرتين. الأولى عام ١٩٥٧، وقدمتها فرقة المسرح الحر، وهي أول مسرحية تقدمها الفرقة بعد تأسيسها عام ١٩٥٦. وأخرجها وقام ببطولتها الفنان عبد اللطيف فتحي. وشارك بالتمثيل فيها إلى جانب عبد اللطيف فتحي كل من توفيق العطري ونزار فؤاد وصبري عياد ونور كيالي وعايدة هلال ونزار شرابي. وحققت المسرحية نجاحاً باهراً.



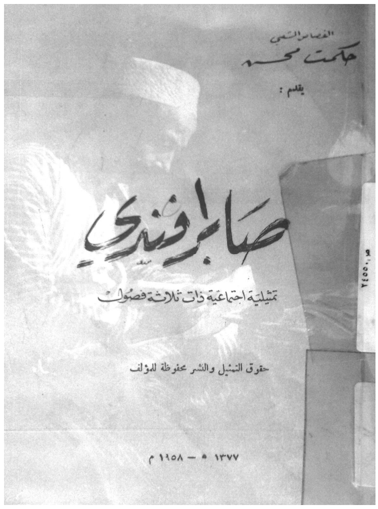
فخري البارودي

وكان فخري البارودي في مقدمة الجمهور الكبير الذي حضر عرض المسرحية في يومها الأول. وقبل بدء العرض صعد البارودي إلى خشبة المسرح، وخاطب الجمهور قائلاً (إذا كانت المسرحية ليست جميلة، سأصعد بعد العرض إلى المسرح وأقول ليست جميلة. وإذا كانت حلوة سأقول حلوة . وبعد انتهاء عرض المسرحية صعد إلى المسرح وهو يبكي ويقول«والله حلوة حلوة حلوة»).

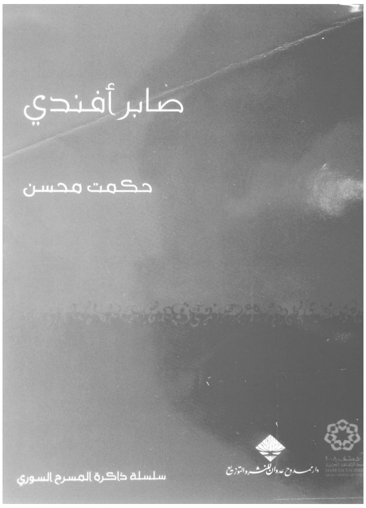
وأعيد عرض المسرحية مرة ثانية عام ١٩٦٨ من قبل فرقة المسرح القومي، بعد أن تم ضم المسرح الشعبي إليه. وأيضاً قام عبد اللطيف فتحي بإخراجها وبطولتها. وبدأ عرضها بتاريخ /٢٦ / كانون الأول عام ١٩٦٨، أي بعد رحيل حكمت محسن بنحو شهر.

وصـدرت المـسرحية مطبوعـة مـرتين أيـضاً. المـرة الأولى عـام ١٩٥٨، وأصدرها حكمت محسن على نفقته الخاصـة، وحملـت الطبعـة عنوان (صابر أفندي – تمثيلية اجتماعية ذات ثلاثة فـصول)، وكتـب لهـا مقدمـة وافيـة ممتـاز الركـابي رئـيس دائـرة التمثيليـات في إذاعـة دمـشق والكاتب والناقد الأدبي. والمرة الثانية صدرت بعنـوان (صـابر أفنـدي) بالتعـاون بـين أمانـة دمـشق عاصـمة الثقافـة العربيـة عـام ٢٠٠٨ ودار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع ضمن سلسلة (ذاكرة المسرح السوري)، تـضمنت الطبعـة مقدمـة لاتحمـل أي توقيـع. وسـوف نـورد المـسرحية كاملة.

ومن أجل قراءة نقدية للمسرحية، لم نجد أفضل من المقدمة التي كتبهـا ممتـاز الركـابي للمـسرحية في الطبعـة الأولى التـي صـدرت عـام ١٩٥٨، لذلك وجـدت أنـه مـن الأفـضل نـشر المقدمـة كما هـي لأهميـة ماجاء فيها. وهذا هو نص المقدمة كاملة .



طبعة ١٩٥٨



طبعة ٢٠٠٨

مقدمة ممتاز الركابي

أذكر أنني شاهدت مسرحية (صابر أفندي) لأول مرة في أواخر عام ١٩٥٧ على مسرح سينما (فريال) في دمشق، وما أحسبني فوجئت من قبل كما فوجئت تلك الليلة، حينما أدركت أن الستار لم يرفع ويسدل عن عبث، كما كان يحدث كثيراً في الماضي، بل كان له غرض معين، وهو إظهار الجانب المعتم في حياتنا الاجتماعية، لا بغية إثارة النقمة أو السخط ، بل الوصول إلى إدخال النور الرحيم إلى هذا الجانب، وتبديد الظلام والوحشة من أكنافه.



ممتاز الركابي

فمنذ اللحظة الأولى التي رفع فيها الستار عن هذه المسرحية، شاهدنا صراعاً عنيفاً ساخراً بين الشعور الإنساني وبين الأوضاع الاجتماعية السائدة، حتى القانون نفسه والأنظمة التشريعية لم تفلت من الانتقاد والسخرية المضحكة اللاذعة، وقد تجلى هذا الصراع في مشكلة السكن بين مستأجرمعدم متقاعد دون راتب، وهو (صابر أفندي) الذي أثقلته الديون، وبين صاحب الدار الذي شاء أن يتسلح دائماً بالقانون إذا عجز المستأجر عن الدفع، وفي مشكلة المرض الأسود في الأوساط الفقيرة، وفي صعوبة الحصول على الوظيفة إن لم يكن وراءها سند قوي، بصرف النظر عن قيمة الشهادة التي يحملها الشاب المتعلم،

وبالإضافة إلى بلاء الالتماس واسترضاء أصحاب النفوذ، إلى غير ما هنالك من صور كثيرة متباينة، وكل ذلك في إطار من البكاء الضاحك، والنقد العميق الذي يحرك الضمائر للوقوف إلى جانب المظلوم، بغية الوصول إلى مجتمع أفضل وأكثر عدلاً وحساً.

وجميع مشاهد الرواية - بصورة عامة - من التي تحدث دائماً ويمكن حدوثها في كل بيئة لها نفس تكوين مجتمعنا وأنظمته التشريعية، وهي في مجموعها ليست متكلفة ولا منتحلة انتحالاً، ولذلك فإن الناس في بلادنا إن لم يعانوا كلهم الجهد العقيم الذي عاناه (صابر أفندي)، فإن بعضهم يراه عن قريب أو بعيد، وبعضهم يلمسه لمس اليد، ولهذه الأشياء كانت هذه المسرحية صادقة تعايش مجتمعنا معايشة أكيدة، وهو ما دفع الجمهور إلى مشاهدتها وطلب إعادتها مراراً. وهذا ما حدث فعلاً، وهو أمر ندر حدوثه من قبل.

وليس المهم في المسرحية نوع حوادثها بالذات، أو مدى حرص المؤلف على التقاليد المتبعة في كتابة المسرحيات من حيث العقدة أو تشابك الحوادث، ثم تكشفها عن أغراضها بصدمات شديدة ومتوالية تهز الجمهور أو تدهشه، فهي من هذه الناحية لم تشأ أن تتكلف مثل هذه العناية، ولكنها حرصت كثيراً وإلى أبعد حد على المضي بعاطفة الإنسان على جسر من الضحك، من لذة إلى ألم، ومن ألم إلى لذة، وقام حوارها على سخرية عميقة بلغت في بعض الأحيان حد الفلسفة، ولكنها لم تطرق بطبيعة الحال أبواب أرسطاطاليس، ولم تلج آفاقه الذهنية والعقلية، لكنها بلغت دون شك مرحلة من مراحل الفلسفة الشعبية

المتواضعة، التي تجد فيها الجماعات العادية ما ينتهي بها إلى أقصى ما تريد قوله بشجاعة ودون مواربة.

وكنت أحب أن ألخص هذه المسرحية في فصولها الثلاثة، غير أني آثرت أن أترك ذلك للقارئ، ليمضي في قراءتها، ويتنقل بين أشخاصها ووقائعها ومفارقاتها، وأنا واثق أنه مع كل صفحة سيشعر بأنه يعيش جانباً من مجتمعه، بل إنه يكتشف حياة فئة كبرى من مواطنيه فيصدقها، لأنه يراها ويحس بمشاعرها ويدرك أمانيها.

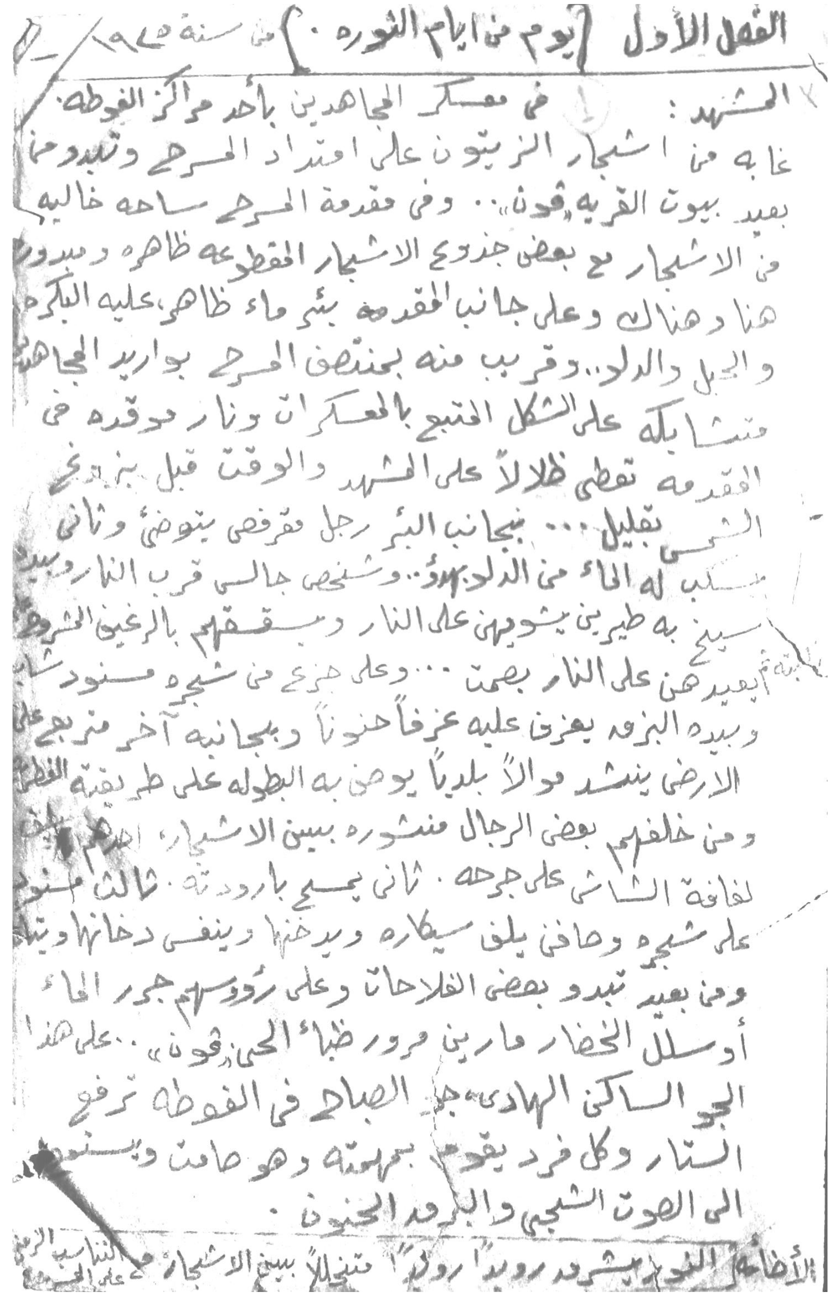
ولا يسعني إلا أن أتقدم بالتهنئة إلى مؤلفها الأستاذ حكمت محسن، لأنه أوجد المسرحية الشعبية السورية الناجحة لأول مرة، ولأنه تعمق في فهم الناس المحيطين به، ولا سيما الطبقة التي تغالب الأهوال الاجتماعية لتعيش، فأخرجها من ظلماتها لتقول للقلب: (هكذا أنا)، وللخير: (هذا ما أعاني)، وللمجتمع: (ماذا ستفعل من أجلي؟!).

وهذه الرسالة هي لاشك رسالة إنسان نقي العاطفة، لا يكتب للناس ما كتبه ذلك اليوناني على معبد (دلف): (أعرفْ نفسك). بل يكتب لكل نفس إنسانية أن تعرف غيرها، حتى تدرك ذاتها، وتقدر مسؤولياتها في أعمال نافعة، لمجتمع يجب أن تتبدد منه غيوم الشقاء، وتزول منه المرارة التي يتجرعها الطيبون والبسطاء!

١٥ /١ /١٩٥٨

ممتاز الركابي

مسرحية (يوم من أيام الثورة السورية) إحدى أهم مسرحيتين كتبهما حكمت محسن إلى جانب (صابر أفندي). وقد عثرت على نسخة منها بخط الفنان محسن عند ابنه أيمن الذي زودني بها مشكوراً. وكتبها الفنان الكبير عام ١٩٥٩ . وقد ذيلها بتاريخ انتهائه من كتابتها. وجاء فيه (تم بعونه تعالى في ٢٩ /٦ /١٩٥٩).


الفصل الأول [يوم من أيام الثورة] من سنة ١٩٢٥

المشهد : في معسكر المجاهدين بأحد مراكز الغوطة.
غابة من أشجار الزيتون على امتداد المسرح وتبدو من
بعيد بيوت القرية "قدوة"... وفي مقدمة المسرح ساحة خالية
من الأشجار مع بعض جذوع الأشجار المقطوعة ظاهرة ومبدورة
هنا وهناك وعلى جانب المقدمة بئر ماء ظاهر عليه البكرة
والحبل والدلو.. وقريب منه بمنتصف المسرح بواريد المجاهدين
متشابكة على الشكل المتبع بالمعسكرات ونار موقدة في
المقدمة تعطي ظلالاً على المشهد والوقت قبل بزوغ
الشمس بقليل... بجانب البئر رجل مقرفص يتوضأ وثاني
يسكب له الماء من الدلو... وشخص جالس قرب النار وبيده
سيخ به طيرين يشويهن على النار ويسقيهم بالرغيف الشرقي
ثم يعيدهن على النار بصمت... وعلى جزع من شجرة مسنود شاب
وبيده البزق يعزف عليه عزفاً حنوناً وبجانبه آخر متربع على
الأرض ينشد موالاً بلدياً يوحي به البطولة على طريقة [illegible]
ومن خلفهم بعض الرجال منثورة بين الأشجار أحدهم يلف
لفافة الشاشي على جرحه. ثاني يمسح بارودته. ثالث مسنود
على شجرة وصافن يلف سيكارة ويدخنها وينفث دخانها ويتأمل
ومن بعيد تبدو بعض الفلاحات وعلى رؤوسهن جرار الماء
أو سلل الخضار مارين مرور ظباء الحمى "قدوة".. على هذا
الجو الساكن الهادئ بجو الصباح في الغوطة ترفع
الستار وكل فرد يقوم بمهمته وهو صامت ويستمع
الى الصوت الشجي والبزق الحنون.

الإضاءة : النور يشرق رويداً رويداً متخللاً بين الأشجار ... بالتناسب الزمني على المسرح

الصفحة الأولى من مخطوط مسرحية
(يوم من أيام الثورة السورية) بقلم حكمت محسن

والمسرحية في الواقع أقرب إلى الأوبريت. فقد تضمنت التمثيل والغناء والرقص الشعبي. وجميعها كانت جزءاً لايتجزأ من نسيج العمل. وتألف العرض من فصلين وقام بإخراجه مسرحياً الفنان تيسير السعدي. وقدمت العرض فرقة المسرح الشعبي التي كانت قد شكلتها وزارة الثقافة حديثاً بالتوازي مع فرقة المسرح القومي. وكان حكمت محسن يرغب في أن يقدم العرض في الغوطة التي شهدت معارك كثيرة بين الثوار وقوات الاحتلال الفرنسية. لكن عدم وجود التقنيات الفنية اللازمة حالت دون ذلك فانتقل العرض إلى مسرح معرض مشق الدولي، وعرضت المسرحية في نهاية عام ١٩٥٩.

كانت معركة (جسر تورا) في غوطة دمشق الشرقية هي الموضوع الرئيسي للمسرحية، وأظهرت تضافر وتكاتف أبناء دمشق من جميع الأحياء وأبناء الغوطة في هذه المعركة. وظهرت فيها مجاميع جاءت من كل أحياء دمشق للمشاركة فيها. فجاءت مجموعة من الشباب من حي الشاغور بقيادة المجاهد حسن الخراط الذي مثل دوره في الأوبريت رفيق السبيعي ومثل فيها كل من أكرم خلقي وعبد الرحمن آل رشي وصبحي الطرابلسي وياسين بقوش وعبد الله النشواتي ويوسف الشويري وعبد الوهاب عزت والممثلتين كلير سمعان وميليا فؤاد. ومجموعة من حي الميدان بقيادة المجاهد محمد الأشمر الذي مثل دوره نزيه شركس، ومثل فيها كل من نوري بيرة وأديب قضماني وبديع نجاتي وعدنان صافية وعبد الرزاق مغربي وهشام عبد الله وسعيد إيتوني وبشير دهان وبسام القحف ومنذر عرابي وأديب المنجد وابراهيم عبد

الرحمن ومحمد كبريتي ونذير قطايف وإبراهيم صافي وسمير المصري. والمجموعة الثالثة بقيادة أبي عبده سكر من حي العمارة والذي مثل دوره محمد خير الفقير، ومثل فيها كل من عمر الطوخي وتيسير اللوجي وعبده أبو كلام وخالد التوت وخالد بهنسي وسليمان ملص ومحمد أبو شامة وسليمان حجازي ومحمد عبد الدايم وخالد وهبة ومحمد بخاري وعبد الرحمن السبيعي وبهيج خباز ومحمد سكري وأحمد خشة وبشير الجندي وراتب قبرصلي. كما شارك في المسرحية أنور البابا وفهد كعيكاتي وأكرم خلقي ونزار فؤاد ومحمد العقاد.

وصورت المسرحية تضامن أهل دمشق وتعاونهم في هذه المعركة، بما فيهم النساء اللواتي كن يخفين الذخيرة تحت ملاءاتهن وينقلنها إلى الثوار المرابطين على جسر تورا. وتضمنت صوراً من الحياة الاجتماعية. وشاركت فرقة للفنون الشعبية بتقديم لوحات من الرقص الشعبي مع الأغنيات الشعبية التي تضمنت الأغنيات الشائعة والمواويل.

أما الديكور الضخم فكاد أن ينطق لقربه من الواقع. وقد صممه ونفذه الفنان علي العريس. وكان الديكور لمنظر عام في الغوطة. واستخدم فيه قواعد المنظور، فبدا المنظر وكأنه حقيقي إذ امتلك البعد الثالث. فإذا نظرت إلى المسرح خلت نفسك أمام بساتين الغوطة المترامية الأطراف.

ووضع ألحان الأغنيات في المسرحية الموسيقي عدنان قريش ووضع الموسيقا التصويرية الموسيقي صلحي الوادي. وقدمت الموسيقا والألحان في العروض فرقة موسيقية رافقت العروض بشكل حي وقادها صلحي الوادي بنفسه.

* معركة جسر تورا :

وحتى تكتمل الصورة لدى القارئ الكريم عن مسرحية (يوم من أيام الثورة السورية)، لابد من إعطائه لمحة موجزة عن معركة جسر تورا التي كانت الموضوع الرئيسي فيها.

وقعت معركة جسر تورا[١] يوم /٢٦/ نيسان ١٩٢٦ ، بين الثوار في الغوطة وقوات الاحتلال الفرنسية. إذ حملت الأخبار لثوار الغوطة نبأً مفاده أن حملة عسكرية فرنسية ستتحرك وتعبر الجسر ذاهبة لمهاجمة مواقع للثوار. فنظم الثوار حملة لمنع الحملة من بلوغ أهدافها عبر منعها من اجتياز جسر تورا. لكن الحملة الفرنسية لم تخرج في ذلك اليوم، فرابط الثوار على الجسر، ووضعوا /١٢/ لغماً صنعها خبير من بلدة دوما، وكانت تؤخذ المتفجرات من القنابل التي كانت تلقيها الطائرات الفرنسية ولم تنفجر. وفي اليوم التالي تحركت الحملة الفرنسية التي يزيد عددها عن ثمانية آلاف جندي، وعندما وصلت إلى جسر تورا، جرى تفجير الألغام التي لم ينفجر منها إلا لغم واحد، واشتبك الثوار مع الحملة وأجبروها على العودة من حيث أتت.

---

(١) نهر تورا هو أحد الأنهر السبعة المتفرعة عن نهر بردى. وفي الغوطة الشرقية يعبر طريق فوق النهر عبر جسر عرف باسم جسر تورا موضوع الأوبريت.



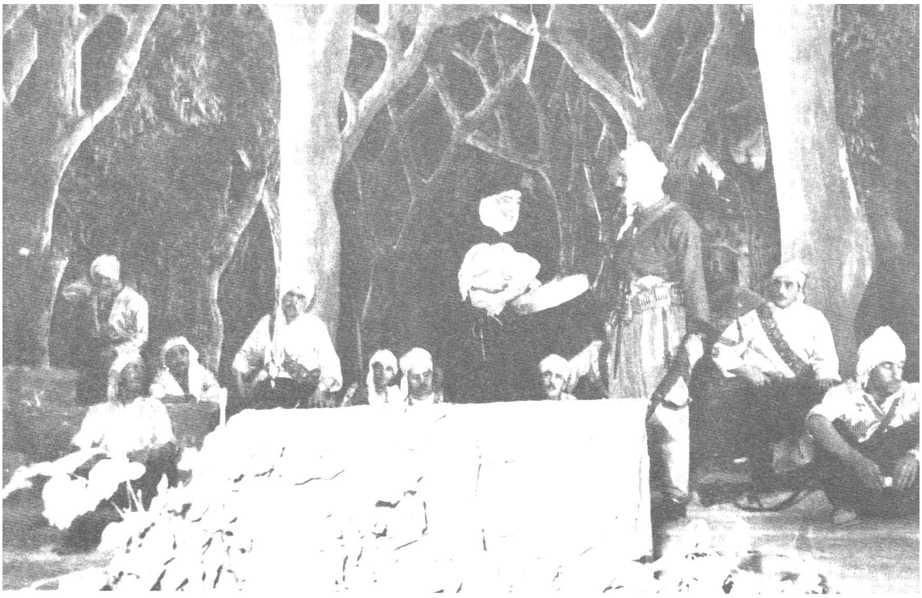
مسرحية بيت للآجـار



مسرحية صابر أفندي



(يوم من أيام الثورة السورية) التي شارك فيها
حشد كبير من الممثلين السوريين عام ١٩٥٩



يوم من أيام الثورة السورية . ويبدو في الصورة وقوفاً
عبد الرحمن آل رشي وأنور البابا (أم كامل)



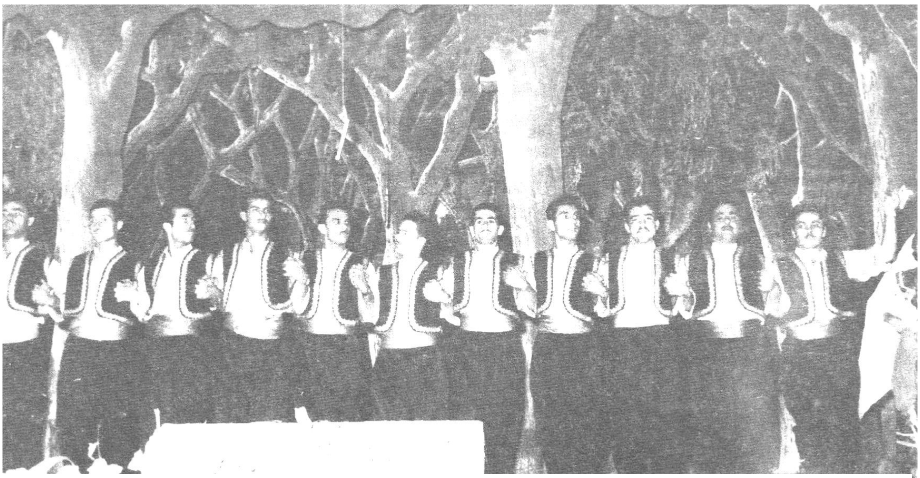
يوم من أيام الثورة السورية . ويبدو من اليمين فهد كعيكاتي
وأكرم خلقي. في أقصى اليسار عبد اللطيف فتحي



يوم من أيام الثورة السورية .
ويبدو من اليمين نور كيالي ونزار فؤاد ومحمد العقاد



يوم من أيام الثورة السورية
فتيات فرقة الدبكة



يوم من أيام الثورة السورية
شباب فرقة الدبكة

الفصل السادس

حكمت محسن والزجل

- يا شاربين الكاس
- خايف
- شو هالحالات
- يا سلام ع الصبية
- أزجال وأغنيات

إضافة إلى الكتابة الدرامية والتمثيل، كان حكمت محسن يمتلك موهبة كتابة الزجل. بل إن الزجل كان الأسبق عنده. فقد بدأ نشاطه الفني بتقديم الأزجال والمونولوجات الملحنة بين فصول المسرحيات مع فرقة الأخوين عطا الله المصرية وغيرها من الفرق. كما استخدم الزجل كمقدمات لكثير من التمثيليات – كما مرّ معنا – وكان يقدمها بصوته على أنه راوي. ولقد عثرنا على عدد قليل من الأزجال التي نظمها على أوراق بخط يده محفوظة عند ابنه أيمن، ونوردها فيما يلي.

يا شاربين الكاس

زارت دمشق فرقة زجلية لبنانية، وأقامت عدة حفلات للزجل، وفي جلسة لأعضاء الفرقة مع حكمت محسن، بدؤوا يتبجحون بأنهم هم أم الزجل وأبوه وأصله. فرد عليهم حكمت محسن بالزجلية التالية:

يا شاربين الكاس ... من أنفس خوابينا
من عاطر الأنفاس ... معصورة معانينا
بحور الذكاوة والعلم ... خضناها سوا مرات
وأفلاك الكون بالحلم ... شفناها شبه ذرات

وطفــنا فــي ليــل العــتم ولفّــينا ... هالكـائــنات
وعــدنا لنعطــي الحكــم مـــن ســـالف ليالــينـــا
يا شاربين الكاس
يــا جــامع جيــوش الجــان ومهـاجـــم... معاقلـــنا
مـــن معبـــد.... ســـليمان معقـــودة.... محافـــلنا
وفي يمينـــي الـــصولجان منقـوشـــة بطلاســـمنا
منحـــولك إلـــى دخـــان مـــن هـــزة... بأياديـــنا
يا شاربين الكاس
*　*　*

خــايــف

خــايف يطـويني الدهـــر ولـــسه بزهـــرة شـــبابي
ومـصـوَّر بوشـــي القهـــر مـــن أهلـــي وأصـــحابي
خـايف لمـا جسـمي يكـل أهلـــي... يخـيبوا ظنـــي
شـــبه المبـــتلي بالـــسل يــضلوا ينفـــروا منـــي
خـايف غـيب... والـدمع مـا ينشــف بعـد موتـي
وتفيــض حواشـــي النبـع وتبـــرَّك..... بتابوتـــي
خــايف لـــمّا... اشـــترف ع المـوت مسجى بفـراشي
رايـح شــهيد مـا ينعــرف مـن شـو مـنغص ومـاشي
خايــف بعـــد مـشـهدي تنفجـــر فـوق أجفانـــي

ويتبلــبل تــرى مرقــدي وما ترتوي منها أكفاني

خــايف روح ولا لي حــدا يــواري جــثتي بترابــي

ولمــا يطــويني الــردى يعظــم بؤســي وعــذابي

خــايف أنـا... ما ينفــهم بعـد مـوتي عظـم صـبري

وبجـوف لحــدي تنكـتم صرخات الآه من دهري

خايف من تحت الصخر ما يسمع حـدا ... أنينـي

واصــفى مـع دود القــبر مأكـول... حتى يغنينـي

خايف مــن يوم الخـلود ومــن ربــي وميزانــي

وشــاهد السـراط محـدود ورجلــيّ.... ما تلقانـي

خايف من صوت الهدير وشباح الجن يشـدّوني

واسـمعْ صفير الزمهرير إجـي لارتـد.... يردونـي

خـايف مـا تجي شهودي مـن يمي بيـوم حشري

واتلظــى عــلى ســفودي لظى العصفورعلى جمري

خـايف مـا يجـري العـدل يـسـري معــي بآخرتــي

ولا ينفعنــي... هاجــدل ولا همتــي ولا فلــسفتي

خــايف يــدريني الهــوى ويتلاشـــــى... بذرّاتـــي

ولا نرجــع بعــدا ســوا ولا أُبعــث مــن رفاتــي

خــايف دورات الفــلك تفـضل تـدورعلى ذاتــي

ويرجـع يلقفنـي الـشبك ويحـدفنـي.... لطياتــي

شـو هالحالات

شو هالحالات شو هالشوفات شو هالبنات

مافي شي يسرها عايشه حرّه كله بأمرها تدوّر بره

فين ما كان يبات

شوف البنات دايرين نارات ع الجوازات

بشعة وسمرة بتمسخ عمرها بتحط بودرة فوق الحمرة

هَيْ هيّي الستات

شوفوا عمالنا هم كيف دايرين كيف محتارين كيف جوعانين

وكبارنا نايمين ومش دايرين

يللا مشّونا فين الأشغال فين الأعمال نشّطوا العمال

بالله شغلوا البطالين

١٠ / ٨ / ١٩٣١

*   *   *

يا سلام ع الصبية

ياسلام .... ع الصبية	ياسلام ع الحرية
ما في شي للشب عاجبه	ما في شي للشب كاربه
يا سلام حالق شاربه	ياسلام ناتف حاجبه
ما في شيء شيء يعيبها	ما في شيء شيء يصيبها
يا سلام هيّ وحبيبها	ياسلام قال خطيبها
ما في شب بقا أسمر	ما في شي ما بيتغندر
يا سلام حط الأحمر	يا سلام طلع سكر
ما في بنت وما في شب	ما بيخلى بينهم الحب
ياسلام على عرض الدرب	يا سلام على هالشب

٢٠ /١٠ /١٩٣١

* أزجال وأغنيات :

تحول عدد من أزجال حكمت محسن إلى أغنيات، لحنها كبار الملحنين السوريين وغناها عدد من المطربين والمطربات. وفيما يلي جدول بما عثرنا عليه من الأزجال التي تحولت إلى أغنيات، مع ذكر ملحن الأغنية ومغنيها :

جدول أزجال حكمت محسن التي تحولت إلى أغنيات

الأغنية	الملحن	المطرب	ملاحظات
دخيلو ربك (على دلعونا)	عدنان قريش	كروان	
دن دن يادنو	عدنان قريش	المجموعة	
زين يابا زين	عدنان قريش	كروان	
محكمة قرقوش (اسكتش)	عدنان قريش	سحر	مع فنانين
هيّي لينا		المجموعة السورية	للثورة والجيش
وين وين يادنيي	عدنان قريش	المجموعة السورية	أغنية انتقادية٥ /٢ /١٩٦٣
يابو عيون اللويزة	عدنان قريش	كروان	

الفصل السابع

محطات في حياة حكمت محسن

- إيمانه بالعمل النقابي
- معاناته مع المرض
- اليوم الأخير والرحيل
- قول على قول

تناولنا في الفصول السابقة مسيرة حياة الفنان حكمت محسن منذ ولادته وحتى دخوله إذاعة دمشق وتعيينه فيها رسمياً وما أبدعه فيها من تمثيليات وبرامج، ومن ثم نشاطه في التلفزيون. ونستكمل في هذا الفصل مسيرته الحياتية والفنية حتى رحيله عام ١٩٦٨.

خلال عمله في الإذاعة عانى من تعسف الرقابة وبشكل خاص في مسلسل (مرايا الشام) الذي لم تنج حلقة من حلقاته من مقص الرقابة. وكانت نهاية علاقته بإذاعة دمشق على غير مايرام. إذ أن إدارة الإذاعة وقتها لم تقدر قيمة حكمت محسن، واعتبرته موظفاً عادياً كأي موظف آخر ففي أحد أيام عام ١٩٦٤ أصدرت إدارة الإذاعة بحقه عقوبة خصم بنسبة ٥٠% من راتبه لأنه تأخر خمس دقائق عن الدوام، وكان تيسير السعدي رئيس دائرة التمثيليات في الإذاعة آنذاك، وقام بتسليمه القرار، وقرأ حكمت محسن القرار، وظل صامتاً ولم يتفوه بكلمة، إنما خرج من مبنى الإذاعة ولم يعد إليه ثانية. وانتقل على إثر هذه الحادثة إلى وزارة الثقافة. وأثرت حادثة الإذاعة عليه نفسياً، فقلت كتاباته ونشاطاته.

ولكن لا بد من الإشارة إلى أنه عام ١٩٤٨ شارك بدور صغير في الفيلم السينمائي (نور وظلام)، وهو أول فيلم سوري ناطق. وقام ببطولته المطرب رفيق شكري، وأخرجه نزيه الشهبندر

*** إيمانه بالعمل النقابي :**

كان حكمت محسن يحمل وعياً اجتماعياً وسياسياً. تجلى ذلك بإيمانه بالعمل النقابي في وقت مبكر لم تكن فيه الحركة النقابية قد عرفت في سورية. وتحدثنا عن قيامه بتأسيس نقابة المنجدين في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين، لتدافع عن حقوق أصحاب مهنة التنجيد، وتولى رئاستها. وبعد أن تفرغ للفن عاود الكرة ثانية، وتنادى مع لفيف من الفنانين، وقاموا عام ١٩٥٢ بتأسيس نقابة للممثلين بدمشق لتدافع عم حقوقهم، وكان أحد أعضاء مجلس إدارتها عند التأسيس إلى جانب الفنانين مصطفى هلال ويوسف فهدة وتيسير السعدي وصبري عياد. ويمكن الاطلاع على الصورة في ملحق الصور في آخر الكتاب.

*** معاناته مع المرض :**

كان للضغوط النفسية التي تعرض لها حكمت محسن بسبب ما جرى معه في إذاعة دمشق وغيرها من المشاكل انعكاساً سيئاً على صحته، فأصيب بارتفاع الضغط ثم بتصلب الشرايين، وفي عام ١٩٦٦ أصيب بجلطة دماغية أدت إلى إقعاده في المنزل، بعد أن سببت له شللاً نصفياً. وفي تلك الفترة عانى من ضائقة مالية شديدة، لاسيما بعد أن توقف دخله الإضافي من نشاطاته الفنية وبشكل خاص كتاباته الدرامية للمسرح والإذاعة. فكان عليه أن يعيش وأسرته من راتبه البالغ /٢١٠/ ليرات سورية، يدفع منها /١٥٠/ ليرة سورية أجرة المنزل، وعليه أن يعيش بمبلغ /٧٠/ ليرة فقط.

وقبيل رحيله منحه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب جائزة الدولة التقديرية، الأمر الذي ساهم بتحسين وضعه المادي قليلاً.

* اليوم الأخير والرحيل :

ويصل بنا المطاف إلى اليوم الأخير من حياة حكمت محسن، اليوم الذي سبق رحيله. وليس هناك أفضل من يروي أحداث ذلك اليوم سوى ولديه أيمن وفدوى اللذين كانا بجانبه في الأيام الأخيرة من حياته. أيمن وفدوى رويا قصة اليوم الأخير من حياة والديهما للكراس الذي أصدره الملحق الثقافي لجريدة الثورة عام ١٩٦٨ بُعيد رحيل محسن، وحمل عنوان (أسرار في حياة الفنان الراحل حكمت محسن)، ووزع هدية مع ملحق الثورة.

تقول فدوى :

(كان والدي في غاية السعادة. وحين عدت من العمل قابلني مثل طفل صغير، وأخذ يمازحني، وصار يختبئ خلف الباب، ثم يمد رأسه ويصيح«نو» كالطفل تماماً، ثم يجري إلى الغرفة).

أما أيمن فيقول :

(لقد قضى والدي السهرة كلها بمرحه وفرحه، ثم استعاد جديته وقال لي :

- تعال نناقش هذه التمثيلية. وكان يكتب فصلاً من تمثيلية «ماوى العجزة». ثم ترك الكتابة، ولم يترك فدوى تنام، بل استمر يداعبنا ويمازحنا حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل) .



غلاف كراس ملحق الثورة

ويتابع أيمن :

(تركته في الواحدة لينام، وذهبتُ إلى غرفة أخرى لكي اقرأ. وبعد ساعة ونصف سمعت همهمة، فجريت إليه مسرعاً وسألته عما به، فلم يستطع أن يجيبني بل أشار إلى فمه، وأنه لايستطيع الكلام. هونت عليه الأمر وقلت له :

- هذا من قلة النوم، غداً تقوم معافى.

فابتسم وأشار إلى اللحاف، ففهمت أنه يريد أن ينام، فغطيته وعدت إلى القراءة. وبعد نصف ساعة علا شخيره، فأيقظته وسألته عما به، فاشار إلى فدوى، ففهمت أنه يريدها.

وجاءت فدوى، وأومأ إلينا أن نقترب منه، فاحتضننا ثم أشار بسبابتيه وضمهما معاً، إشارة إلى أن نبقى معاً. ثم ذهبتُ إلى بيت الجيران واتصلت بالهاتف طالباً سيارة إسعاف، فجاءت السيارة ونقلته إلى المستشفى، وهناك توفي بانفجار الشرايين دون أن ينطق بكلمة واحدة. وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٨).

وما أن أذيع نبأ وفاته حتى تقاطرت جموع المواطنين إلى الحي، بشكل لم يسبق له مثيل. وتعطل السير في الطرقات. وتم تشييعه بموكب رسمي وشعبي مهيب إلى مثواه الأخير في مقبرة الدحداح بدمشق. واستقر جثمانه في قبر يحمل الرقم /٩٧٠/ في القسم الشمالي الغربي من المقبرة.

وبعد وفاته بستة عشر عاماً، انضمت إليه في ذلك القبر زوجته أم أيمن. وبذلك أسدلت الستارة معلنة انتهاء مسيرة فنية طويلة وغنية للفنان الكبير القصاص الشعبي حكمت محسن. مسيرة طويلة زادت عن الأربعين سنة. مسيرة غنية بعطائها الفني المتنوع الذي شمل الزجل والغناء والتمثيل وكتابة التمثيليات والمسرحيات والبرامج المنوعة. لكنها كان مسيرة فقيرة بالنسبة إليه، لم يجن فيها إلا القليل القليل من المال، لدرجة أنه عاش حياة الكفاف، ولم يستطع أن يمتلك بيتاً يضمه

وأسرته، لكنه ملك قلوب الملايين بفنه الراقي النظيف الهادف. هذا الفن الذي سيبقى حياً في ضمائرنا وذاكراتنا، نحن الجيل الذي تفتحت مسامعنا وعيوننا ومداركنا على تمثيلياته الإذاعية التي كنا ننتظرها بالدقيقة، للقصاص الشعبي حكمت محسن (أبو رشدي).

قــول عــلى قـــول

لا بد أخيراً من وقفة عند فن حكمت محسن في مجال كتابة الدراما. تُشخَّص أعمال حكمت محسن الدرامية على أنها أعمال كوميدية، ويتبادر إلى الذهن فوراً أن غايتها الإضحاك والتسلية. لكن المتمعن في التمثيليات والمسرحيات التي كتبها، يجد أنها أقرب إلى التراجيديا، وإن كان فيها شيء من الكوميديا، فهي على مبدأ (شرُّ البلية مايضحِك). حكمت محسن يجعل الناس يضحكون من أوجاعهم، من مجتمعهم وظلمه وجشعه. ولعل أكثر مايبدو ذلك واضحاً في مسرحية (صابر أفندي)، حيث تتسارع انفعالات القارئ أو المشاهد بين الحزن الذي يصل أحياناً إلى حد البكاء، وبين الحقد على بعض الفئات الجشعة التي خلا قلبها من الإنسانية والرحمة، وبين الضحك، ولكن أي ضحك؟..إنه الضحك على النفس أحيانا، وعلى المجتمع أحياناً أخرى، ولكنه بالتأكيد ليس الضحك الناتج عن السرور والفرح.

كتابات حكمت محسن الدرامية كانت اجتماعية بامتياز. وأحياناً كانت تقترب من السياسة بشكل غير مباشر، لتدين المؤسسات الرسمية التي تقف إلى جانب الغني ضد الفقير، والتي تعاني من المحسوبيات والفساد وسيطرة المنتفعين على مفاصلها. كانت دراما حكمت محسن

تغوص في سلبيات المجتمع وتنتقدها باسلوب ساخر ظاهرياً، لكنه اسلوب جاد في مضمونه وأهدافه.

ما أزال أتذكر - عندما كنا صغاراً - كيف كنا نترك كل شيء ونجلس قرب المذياع عندما تبدأ شارة تمثيلية (أبو رشدي) بموسيقاها المميزة. كانت السعادة تغمرنا ونحن نستمع إلى وقار (أبو رشدي) ونصائحه، وإلى تعليقات (أم كامل) الظريفة، وإلى برودة أعصاب (أبو فهمي). نعم... لقد كانت تمثيليات حكمت محسن الإذاعية جزءاً أساسياً من التقاليد اليومية لنا. هذه التقاليد التي نفتقدها كثيراً هذه الأيام. وسقى الله أيام زمان.



**مجلي إدارة أول نقابة للمثلين في سورية عام ١٩٥٢ ويبدو جلوساً من اليمين حكمت محسن ومصطفى هلال .
ووقوفاً من اليمين يوسف فهدة وصبري عياد وتيسير السعدي**



حكمت محسن وعلى يساره صبحي العمري وخلفهما تيسير السعدي



صورة تذكارية مع ممثلين سوفييت بمناسبة مهرجان الفيلم السوفييتي عام ١٩٥٧. من اليمين: أنور البابا – تيسير السعدي - حكمت محسن - الممثل السوفييتي سيرجي بندرا تشوك (بطل فيلم عطيل) - عبد الطيف فتحي - بطلة فيلم (سقوط القيصرية) – صلاح دهني



من اليمين حكمت محسن وزوجته على يسارهما سامي أبو نادر وزوجته



أعضاء الفرقة السورية في منزل فخري البارودي الذي يتوسط الصورة عام ١٩٥٥. على يمينه رياض العابد - حكمت محسن. وعلى يساره حسني تللو - نجاة قصاب حسن - سعيد فرحات. والواقفون في الخلف من اليمين عدنان قريش - فهد كعيكاتي - صبري عياد - تيسير السعدي.



رسم لحكمت محسن

مسرحية
صابر أفندي

تمثيلية اجتماعية ذات ثلاثة فصول

تأليف

حكمت محسن

١٩٥٧

الفصل الأول

المنظر : صالون جلوس بسيط في بيت صابر أفندي

(يرفع الستار عن أم نبيل وهي ترقّع جرابات، تدخل نجاة من باب اليمين ذاهلة ومشيرة بيديها بحركات هستيرية، وأم نبيل تلاحقها بنظراتها أينما اتجهت، إلى أن ترجع من حيث أتت).

أم نبيل : لاحول ولاقوة إلا بالله. منين اجتك هالمصيبة يا بنتي، تضرب ميمتك. الله يكون بعونك ويشفيكي وأنا مستجيرة بالله.

(يطرق الباب)

أم نبيل : مين؟

صوت من الخارج : صابر أفندي؟...

أم نبيل : مو هون والله.

الصوت : شو موهون؟ كل ما بدق الباب بتقولوا موهون؟ شـو النـاس عبيد أبوكن. كل يوم عشرين مشوار موهون؟ عيب.

أم نبيـل : والله يـا عيـب الـشوم منـك مخجـولين يـا أخـي. إنـشالله بهالمـدة منوفيك يلـلي إلـك، صـبر المـؤمن عـلى المـؤمن حـسنة يـا أبـو شاكر.

الصوت : مظبـوط. لكـن بـدي اقـضي غـرض أنـا التـاني. صـارلي تـلات أشهر...لكْ.

أم نبيل : إنشالله راح الكتير وصفّى القليل، ما بِروح عليك غـير الـصبر. في بالعادة نـتأخر؟ لكن هيك الظروف حكمت شو منعمل؟

الصوت : بكره قوليلو خليه يدبرهن مو محرزين. يا إما بعملو زفة بنص الشارع هـه. مـال النـاس مـو حـلال إلُـهْ؟ فهميـه بـالتي هـي أحسن. خاطرك.

أم نبيل : مع السلامة.

الصوت : هه... وهي نبيل أفندي.

نبيل (من الخارج) : شوفي يا أخي شو عاوز؟

الصوت : كنت عم فهمها لأمك الشغلة مو محرزة لهالروحة وهالجية.

نبيل : إنشالله بهالكم يوم مندفعلك...مع السلامة.

(يدخل نبيل)

الصوت (وهو يبتعد) : شوهاد؟ العمى بهالحالة بدها كل هاد؟!

نبيل (متبرماً) : أوف من هالحياة ومن هالعمر.

(يخلع طربوشه ويرميه بشدة ويلقي المصنفات على الطاولة)

أم نبيل : إي...روِّق بالك، لك ابني صلي على النبي، ماعمرها الشدة دامت على مخلوق. إي حكيلي بقا شو جد معك يامو؟ إنشالله خير؟

نبيل : والله إنشالله خير. طلبوا مني إبراز الشهادة حتى يشوفوها وأرفقها بأوراق المعاملة. لأنو حضرتهن كل ساعة بيطلعولنا بفنة جديدة. معاملتك ناقصة إمضاية من فلان بك، وفلان أفندي لازم يتطلع عليها. والله مو عندي عند فلان. وفلان بيبعتني لعند فلان. إي والله شي بأتّي الجنان. بشرفي انهرا صباطي من تلات أشهر وأنا روح وإجي.

أم نبيل : ليش ما قال تجبله ورقة لاحكم عليه، مدري ما بعرف إيش وخلص انتهت.

نبيل : قال... شو همّو هوّه؟ قاعد ورا طاولته أفندي والمروحة قدّامه وكاسة ليمون رايحة وفنجان قهوة جايه.

أم نبيل : إي معليش لك ابني هيه إنشالله تصير...وكل شيء هين.

نبيل : لكن لا...إنشالله بدها تصير. لأنه المدير انبسط مني تمام، وقللي اتطمن بيصير خير.

أم نبيل : إنشالله يا رب.

نبيل : آه، لنقوم ناخد هالشهادة ونروح نشتغلنا شغلة.

(يقف على الكرسي وينزل برواز الشهادة المعلق على الحائط)

أم نبيل : الله ياخد بيدك يا ولدي ويسّر أمرك. الله يعلم بحالنا ويسترنا، بركي الله رح يتطلع بوشنا بقا. شلون ما كان بحصة بتسند جرة.

(يكون نبيل قد أنزل الشهادة)

أم نبيل : شو رح تعمل؟ هيك رح تحملها وتروح؟

نبيل : إي إي شو كل هاد؟ رح فكها وحطها بالمصنف.

(يبدأ بفك الشهادة من البرواز)

نبيل : مارجع أبي لسه؟

أم نبيل : أبوك راح على ريق بطنه لهلأ ما رجع. ياترى دبّر المصاري، مادبّر، شو صار معه مالي عرفانه.

نبيل : هو لإيمتى ليش تاريخ الإنذار؟

أم نبيل : اليوم.

نبيل : اليوم **(بدهشة)** ليش أديش اليوم بالشهر؟

أم نبيل : ٢٦.

نبيل : ٢٦ ؟

(يطرق الباب)

نبيل : مين ؟

صوت من الخارج : أنا...

نبيل (يفتح الباب) : هه...أهلا وسهلا.

الصوت : شو أهلا وسهلا. شو هالمصخرة هيْ؟ كل مرة بتعملنا ياها انت والا أبوك؟. ماتدفعلنا بقا هالقرشين ونخلص من هالبلشه؟

نبيل : إنشالله هالمدة.

الصوت (مقاطعاً) : أني مدة هَيْ؟. إي صارت ميت مدة ومدة. وكل مرة بتقللي هالمدة. يلعن هالدينة وساعتها.

نبيل : والله يا أبو جميل بتعرف انت، في بالعادة؟ لكن الإنسان أخو الإنسان معليش. وإنشالله رح امسك شغل وأول معاش إلك.

الصوت : لا تخليني اطرق مشاويرع الفاضي بها الشوبة نبيل أفندي هه، هنن كلهن ١٦ ورقة مو محرزين.

نبيل : هيك قول لحالك يا منظوم، منشان ١٦ ورقة عفت زباين ١٦ سنة، من يوم ما عاملناك ماراح عليك قرش، تقوم تبهدلنا قدام الناس لأنه تضايقنا بها الشهرين ياعديم الزوق والحس والمروءة.

(يغلق نبيل الباب في وجه الدائن بشدة)

الصوت : لأ...ما صارت هالنهفة، إي فوق حقه دقه **(وهو يبتعد)** والله إن اجيت تاني مرة وما كنتو محضّرين لي المصاري لأعملكن مضحكة قدام كل أهل الحارة... لشوف.

(يـضع نبيـل الـشهادة بالمـصنف، ويلـبس طربوشـه بعـصبية ويخرج بعد أن يغلق الباب وراءه بشدة)

أم نبيل (متنهدة) : حالة حالة.

(ضحكات نجاة الهسترية من الخارج)

أم نبيل : بسم الله الرحمن الرحيم. خير إنشالله. اللهم اجعله خير.

(يستمر ضحك نجاة من الخارج)

أم نبيل : آه يا ربي آه كنا بمصيبة صرنا بتنتين. ما بتكفي كـل هالمـصايب يللي اجت فوق راسنا. كملت معنا بجنان هالبنت.

(يستمر ضحك نجاة من الخارج)

أم نبيل : ولي على قامتي، لروح شوف شو صار لهالبنت؟

(تدخل ثم تعود بنجاة)

أم نبيل : ولي على ميمتك يا بنتي. تعي تقبريني قعدي يا حبيبتي.

(تجلسها على الكرسي وتأتي بالمصحف وتضعه على راسها)

أم نبيل : قل هو الله أحد فرد صمد حولك وحواليكي. قل أعـوذ بـرب الناس ملك الناس من شر الوسواس الخناس **(تبسبس)**.

(يفتح الباب بواسطة مفتاح ويدخل صابر)

أم نبيل (ترى زوجها) : مالك يوم الدين.

صابر : شوهاد؟

أم نبيل (متمتمة) : الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم.

صابر : الله الله...هيك مابينفع خانم أفندي، هاتيلها شبه وحافر حمار، جيبيلها فاسوخ من العين.

أم نبيل : هص هص.

(تدخل ابنتها)

صابر : شي حلو.

(يرتمي على المقعد تعباً، ويبدأ بخلع ملابسه، بينما أم نبيل داخلة خارجة تأتي بالماء وهكذا...)

أم نبيل : وين يا ترى حاطة قنينة المازهر؟ شفتللي قنينة المازهر أبو نبيل؟

صابر : ليش المازهر؟ خديلها مية فضة أحسن.

أم نبيل : يوه...أبو نبيل...نحنا بإيش وانت بإيش. البنت إجتها النوبة من حصة، وصارت تخربط بالحكي وتضحك.

صابر : تخربط بالحكي وتضحك؟! مسكينة إي وهلأ؟

أم نبيل : وهلأ متل ما شفت، حين ما حطيت القرآن على راسها هديت الحمد لله.

صابر : لا حول ولا قوة إلا بالله.

أم نبيل : سمعت التكتور يللي حكّمها هداك اليوم، قال معها صدمة نفسية، لكن والله ما فهمت عليه شو يعني صدمة نفسية؟

صابر : يعني الإنسان الحساس لما بيصطدم بخيبة أمل من شي، ويكون هالشي ذات نقطة مهمة بالنسبة الُهْ، فوقتها بيحدث هالإنسان أشياء لا تحمد عقباها والعياذ بالله.

أم نبيل : لكن هالبنت غير مالك عم بتقول. فهي بدال ما تبكي عم تضحك.

صابر : مظبوط. يرحم من قال : هجم السرور عليّ حتى من فرط ما قد سرني أبكاني. وشر البلية ما يضحك، فحالة نجاة هيك صارت. من كتر ما تأثرت وزعلت ضحكت، يعني صار معها هستريا. لا تخافي لا تخافي بسيطة منيح ما انتحرت. هاتي اعطيني هالقمباز وتعي قعدي واسأليني شو صار معك بقا أنا.

أم نبيل : والله قلبي عندك متل النار شو صار؟ إنشالله قمحة؟

صابر : لا والله يا ستي شعيرة.

أم نبيل (بعد أن تعطيه القمباز وطاقية النوم) : إي...وبعدين؟

صابر (يقلدها) : وبعدين؟ رح ياخدونا ع المشنقة وبعدين؟

أم نبيل : ياريت ونخلص بقا.

صابر : ياريت ! من تمها لطبلة إدنك يا أبو جعفر.

أم نبيل (باكية) : يا ريت يا صابر يا ريت. عرق آس ولا شماتة الناس.

صابر : طيب شو بتعملي؟ بتخربشي السما؟ بتقدري تغيري حرف من كتاب القضاء والقدر؟ عاد يللي الله صوّره بدو يصير. بقا خليه يصير برضانا أحسن ما يصير غصب عن مخي ومخك ومخ أكبر مخ. بقا قومي حاجه تلتّي وتعمي قلبي أكتر ماهو أعمى.

(يبدأ يلبس القمباز).

أم نبيل : آه يا صابر آه. فين صحابك يللي كانوا يودّوك؟

صابر (يكون قد لبس القمباز وهو يضع الطاقية) : رحت دفنتهن واحد واحد واجيت.

أم نبيل : ولا لقيت واحد منهم حي؟

صابر : لقيت واحد بس طيب. ولما دسيت نبضه نازع.

أم نبيل : وشفت أدهم أفندي ؟

صابر : والنعم.

أم نبيل : وأسعد بك؟

صابر : والسبع تنعام. نعم شفت التنين شفت التلاتة، شفت الكل، والكل شافوني وعميوا **(يجر كرسيه نحو أم نبيل)** قلتللو لأسعد بك يا أسعد بك قاصدك على مية وخمسين ليرة مستحقين علي أجرة قسط سكن، وصاحب السكن اكتسب عليّ حكم قطعي. وتنفيذه بغاية اليوم. يا أما بدفع يا أما بوضع غراضي المنقوله عند شخص تالت وطردي من البيت. ولو مالي كبير أمل بمروءتك وأخوّتك وعلمي الأكيد انو قريباً كما تعلم راح اقبض هلكام قرش من التعويضات. ماتأملت واتجرأت على ازعاجك بهادا الطلب.

أم نبيل : وشو قال؟

صابر : شو قال؟ هه، حزري شو قال؟ بعد ما فرك بإيديه، وتظاهر بالأسف على حالي **(مقلداً صوت أسعد بك)** والله يا صابر أفندي إني تأثرت على وضعك يللي انت فيه، وأنا لولا شروة هالعقار يللي اشتريته، وبكره بدي انزل ع الطابو وادفع، لكنت أسعفتك، ولكن أنا متأسف ومتأثر.

أم نبيل : وشو قلتللو؟

صابر : قلتللو وأنا التاني متأسف ومتأثر.

(يطرق الباب)

أم نبيل (من وراء اباب) : مين؟

الشاب (من الخارج) : صابر بيك؟

صابر : طظ.

(أم نبيل تلتفت إلى صابر متسائلةهل تقول هون والا موهون)

(صابر يشير بيده أنه غير موجود)

أم نبيل : مو موجود. بتريد شي يا ابني؟

الشاب (من الخارج) : شلون مو موجود؟ هلأ شافه السمان وهو طالع.

أم نبيل : والله يا ابني ليكون غلطان.

الشاب : شو غلطان؟ هلأ شافه السمان بعينه وهو فايت ع البيت.

صابر (مقاطعا) : لالا...مو غلطان. مظبوط أنا هون **(لأم نبيل)** فوتي لجوه **(تخرج أم نبيل)** تفضل.

(يدخل الشاب)

صابر : السمان مو غلطان يا ابني. مابيغلط أبداً. مظبوط شافني وأنا متلبس بجريمة الدخول إلى بيتي. ولذلك يا ابني الحق عليٍّ مو على الست. أنا لما شافني السمان فايت على بيتي مافتت من الباب فت من الشباك. ولذلك حصل سوء تفاهم. تفضل...تفضل ستريح.

الشاب : ممنون مستعجل. حضرتك صابر أفندي؟

صابر : لا.. أنا صابر وبس.

الشاب : طيب **(يخرج من جيبه تحريراً)** من فضلك مضيلي باستلامك الرسالة **(يقدم له ورقة وقلم)**.

صابر (يقرأ) : مكتب المحامي شهيم الغيور. طيب خود يا ابني.

الشاب : قبل ماترجعه قراه مابدك تعرف شو في بالأول؟

صابر : انفهم المكتوب من عنوانه. انعرف انه انذار بالدفع يا بالحجز يابالحبس في غيرو؟ ولذلك سلم على الأستاذ شهيم الغيور وقللو غيرك طلع أشطر منك وسبقك واليوم الحجز، فإن كان يريد يلحقه غرضين قللو يتفضل يلحّق حاله، والا بكره ما بيستفيد مني شي. رح بشطب فشت.

الشاب : ما بظن متل ماتفضلت، المسألة بالعكس، الأستاذ شهيم هو الوكيل الجديد للمؤسسة يللي حضرتك كنت موظف فيها.

صابر : هاها...إيه إيه...عفواً يا ابني، شوف الله يلعن الشيطان. الإنسان لما بيكون بحالة نفسية متل حالتي، بيصير سيء الظن حتى بنفسه، معليش يا ابني معلش سامحني.

(يأخذ الرسالة ويضع يده في جيبه كمن يريد أن يعطي بقشيش)

الشاب : لا العفو على إيش؟

صابر : اتسرعت شوي بحديثي معك، لكن على كل حال انت طلعت ولد ابن حلال.

الشاب : استغفر الله ياعم تربايتك...عن اذنك **(يخرج)**.

صابر (يتبعه وهو لا يزال يفتش بجيوبه عبثاً) : مع السلامة تسلم ديّاتك. **(يعود ثم يضع النظارات ويبدأ بفتح المظروف. تدخل أم نبيل)**

أم نبيل : خير إنشالله؟

صابر (يقرأ) : حضرة السيد صابر أفندي العنتابوسي المحترم. لي الشرف أن أحيطكم علماً بأنكم ربحتم الدعوى التي أقمتموها بتاريخ ٩ /١٠ / ٤٤ على المؤسسة التي أنا وكيلها تجاه المحاكم الجنائية والصلحية والجزائية والشرعية. وبناء عليه كلفتني مديرية المؤسسة أن أدعو حضرتكم غداً لمقابلة نتفق فيها على شكل يرضي الطرفين ودمتم.

أم نبيل : شو فهمت؟

صابر : متل ما سمعتي.

أم نبيل : عما يقول انك ربحت الدعوى الحمد لله.

صابر : هي ربحانه من غير دعوى **(بتأثر)** لأنها دعوة ألوف متلي مؤلفه، دعوة كل مظلوم قليل الحظ بالحياة.

أم نبيل (تأخذ رأسه إلى صدرها حانية) : معلشي يا صابر.

صابر (يكفكف دموعه) : إيه! أيام يا أم نبيل.

أم نبيل : الله كريم يا روحي، الصبر مفتاح الفرج يا أبو نبيل، هيْ الحمد لله كسبت الدعوى، وبكره بتقبض التعويض يللي حسبولك ياه وبتوفي.

صابر : بس بس من فضلك. نحنا بدنا بكره والا هلأ. المشنوق رح ينشنق هلأ موبكره. بكره ميت عفو مابيفيده. بكون طظ راح.

أم نبيل : الله يجازي يللي كان السبب.

صابر : شو بدو يجازي ليجازي تركينا يا شيخة. لما كنت على راس وظيفتي كانوا الكل أصحابي. كانو مابيتكنوسوا لا من مكتبي ولا من بيتي حتى اقضيلهم مشاكلهم. والكل كانوا يقولوا الله يقدرنا على مكافاتك يابيك. كانوا يتمنولي غرض. ولكن وقت تمنيت. انذليت.

أم نبيل : حاشا بيت المستور ينفضح يا صابر.

صابر : اي نعم حاشا.ماانفضحنا وخلص. شو منتظرة أكتر من هيك. سمان رايح، لحام جايه، كل واحد بمزيكه شكلع الباب. ولسه حضراتهم بيبحثوا مابين طيات الروتين هل يجوز إعطائي التعويض أم لا. انهدم بيتي شحدت. اتبهدلت خلوني اتزلف للكبير والصغير بشيخوختي يللي يحرم ازلالها (**يبكي**) إلا بالحق.

أم نبيل (تأخذه إلى صدرها مواسية) : الله مابغفل عن الظالم.

(ضوضاء ولغط ثم يقرع الباب بشدة)

الأصوات (**من الخارج**) : هون. هون سيدي هون. ليكون موهون لأ هون. هون. أنا شفته.

صابر (يجري نحو الباب وبنظر من الثقب ثم يرتد مذعورا) : ياساتر يارب.

أم نبيل (هامسة) : مين؟

صابر (هامساً) : هدامين بيتي.

أم نبيل (خائفة ولائذة بزوجها) : صابر.

(صابر يأخذها إلى صدره واللغط مستمر في الخارج).

(أصوات من الخارج)

صوت (من الخارج) : ما بيصير مايكون في حدا.

صوت آخر (من الخارج) : سيدي شافوه هلأ وهو طالع.

(ضحكات نجاة الهستيرية من الغرفة الداخلية)

صاحب الدار(من الخارج) : سيدي ولو موهون بيكونوا عياله هون. دقّوا.

أم نبيل : صابر...صابر...**(خائفة)** رح يحجزوا علينا.

صابر : ليش كل هاد مرعوبة؟ لاتخافي مارح بيحجزوا عليكي.

الصوت : سيدي إن كان مافي حدا منخلع الباب.

(الباب يدفع بشدة)

صابر (راكعاً عند حجر امرأته) : مخجول يا أم نبيل. مكسوف افتح الباب. انطحنت انصهرت روحي، فتحي أحسن مايكسروا الباب علينا كمان.

أم نبيل (تتجه نحو الباب) : منو هاد؟

صاحب الدار (من الخارج) : إي شو نايمين؟

صابر (لنفسه) : نعم نايمين عاملين قيلولة.

أم نبيل : شو بتريد يا ابني؟

صاحب الدار(من الخارج) : يا اختي خدينلا طريق بدنا نفوت نقلب البيت.

صابر (متنفساً الصعداء) : أوف الحمد لله يللي تقليب بس وإلا احترقت الطبخة.

(ضحك نجاة من داخل الغرفة)

صابر : ش ش ش ...

أم نبيل : يا رب دخيلك تسترنا ولا تفضحنا.

صابر : طالما المسألة مسألة تقليب، هلأ ما بيتركو بلوعة بالبيت مابقلبوها. الأحسن اني اتوارى عن النظر حتى ما انقلب أنا التاني أشكال وألوان متل الحرباية ورجيني بختي.

أم نبيل : فين بدك تتخبا؟

صابر (يشير إلى الخزانة) : بمعرة النعمان. وين كل مرة بتخبى من صحاب الديون؟ فلا تفتحي الباب إلا لسكّر الباب.

(تدخل نجاة ضاحكة ساخرة من أبيها)

(صابر يحاول الدخول إلى الخزانة، فيرى ابنته فيرتد إليها ويشير بالخروج فتخرج).

صاحب الدار (من الخارج) : يالله يا اختي افتحوا بقا اتكسرت رجلينا ونحنا واقفين.

(صابر يدخل الخزانة ويغلق عليه الباب).

أم نبيل (تفتح الباب وتخرج إلى الغرفة المجاورة قائلة) : تفضلوا يا أخي.

(يدخل الجميع وهم عبارة عن هيئة حجز مؤلفة من شرطي وصاحب الدار ومحامي ومأمور الحجز)

صاحب الدار : فين صابر أفندي يا أختي؟

أم نبيل : شو بتريد منّو يا أخي؟

صاحب الدار : أنا صاحب البيت. كانت الوعدة بيناتنا لمبارح انه يدفعلي، وصرت صابر عليه تلت اشهر، وهو بقللي اليوم وبكره، وبعدين؟

(ضحك نجاة الهستيري من الداخل)

الشرطي : شوهاد؟

أم نبيل (من الخارج لابنتها) : ش ش الله يقصف عمرك.

صاحب الدار : شوفي عندكن مجنونة؟

أم نبيل (من الخارج) : لا يا ابني بس اليوم هيك من هل الحالة صار عندها شوية عصبي.

صاحب الدار : إيه معافاية إنشالله. خلاصته، وهَيْ اليوم لحد هلأ مادفع ولا شفت وشه. لإيمتى يا اختي هالحالة ؟ صرت قايللوا ميت مرة، الله يسامحك يا صابر أفندي باجرة تلت أشهر، بس خليلي البيت خليني أعرف انتفع منه. لا عم يرضى يخليه ولاعم يدفعلي وبعدين؟ لا برحمك ولا بخلي الله يرحمك، شو منعمل أكتر من هيك شلون بتريدي؟ آ...اختي.

أم نبيل (من الخارج) : بإيش يا ابني ؟

صاحب الدار : شو عم نغني بالطاحون ؟ مستعدين تدفعوا هلأ؟

أم نبيل (من الخارج) : هو راح من الصبح منشان يدبر مصاري وما بعرف شو جد معه. فإذا أمرت بركي شوية تانية بكون إنشالله توفق وبيدفعلك.

مأمور الحجز : يا اختي نحنا ماعندنا وقت، معنا أمر بالدفع فوراً يا بالحجز (**إلى صاحب الدار**) نداء ع الجماعة من فضلك.

صاحب الدار (يذهب نحو الباب وينادي الشيالين) : تعا انت ويّاه فوتوا.

مأمور الحجز : وانت يا اختي تغطوا وشرفوا شويه لبره، بدنا نحصي محتويات البيت.

(يدخل اثنان أو ثلاثة من الشيالين)

أم نبيل (من الخارج) : لشو بدكن تحصوها يا ابني ؟

مأمور الحجز : بدنا نوضعهن عند شخص تالت لبينما يستوفي الدائن دينه، مع الأمر بالتخلية فوراً من السكن إذا ما أمكنكن الدفع. فهيْ العتالة إجت فبتحبي نجري المعاملة وإلا بامكنكم تدفعوا؟

صاحب البيت : يللا يا سيدي كتوب خلصنا...تعا يا ابني شيل.

(تبدأ معاملة الحجز والعتالون يبدؤون بالنقل إلى أن يصلوا إلى الخزانة، وعندما يفتحها أحد الشيالين يظهر صابر أفندي)

صاحب الدار : بلاقيك هون يا سيدنا، شو عم تعمل بالخزانة؟

صابر : عم شم الهوا.

(الجميع يضحكون ساخرين).

صابر (مقلدا) : هه هه هه هه هه هه هه.

أحد الشيالين : منيح يللي فتحنا الباب وشفناك وما نتعناك معنا.

صابر : متشكر يا حضرة الدب الناطق **(للمأمور)** يا أفندي تفضل حضرتك عميل معروف كمل شغلك وكل مين يحفظ أدبه **(ينزل من الخزانة بوقار ويغلق بابها بعنف).**

(ضحك نجاة من الداخل بهستريا)

صابر (للمأمور) : شوف يا ابني شغلك، واعتبر نفسك ببيتك، واتصرّف متل مابتريد. أنا من طرفي مافي مانع أبداً، أنا من تحت القانون مو من فوقه. العدل لازم ياخد مجراه، وإلا كانت الناس أكلت وشربت بعضها متل بيض برشت. حجوز يا ابني وشوف شغلك.

صاحب الدار : غير جنابك خليت حالك يصير فيك هيك. لو دفعت مين كان حاكاك؟

صابر : ش...ولا كلمة. أنا عم بحكي مع الأفندي مو معك؟ انت عليك انك تاخد هالكم كركوبة للمزاد العلني وتحولها لمصاري تدفنها بصندوقك، ونام أنا وعيالي على الأرض، معلش، ولكن بلا إهانة يا كحلوس افندي.

صاحب الدار (للمأمور) : يللا جودت أفندي شو منّو هاللت الفاضي، مابدو يدفع الزلمة ليش هالطوله.

صابر (يقلده) : يللا جودت أفندي شو منّو هاللت الفاضي مابدو يدفع. انت مين عاوزك يا جربوع القرش يا حمار محمَّل دهب.

الشرطي : ش. بعدين بتصفى ببيت خالتك هه.

صابر : مفهوم يا ابني. أساساً بعد خراب بيتي ماصفي قدامي غير بيت خالتي. يابيت عمتي بالعصفورية.

صاحب الدار : شفت سيدي سوء معاملته؟ هاد بعد صبري عليه ست أشهر، وقدام حضرتك عم يتلفظ معي بهالكلام شفت؟..شهاد عليه. يللا أخي جودت أفندي كمل شغلك، مامعنا وقت ، رح تروح عليّ صلاة الضهر.

(أم نبيل ونجاة تدخلان بالملاءات السوداء)

صابر (يرى امرأته وابنته فينفجر) : ارجعوا لجوّا ارجعوا لجوّا.

أم نبيل : صابر هدّي أعصابك.

صابر : أنا هادي أنا متمالك. أنا مسيطر على أعصابي فوتوا لجوّا.

(تدخلان)

مأمور الحجز : طوّل بالك يا صابر، مافي لزوم لهالثورة كلها.

صابر : انت مادخلك. أنا عم بحكي مع عائلتي. جنابك معك أمر تحجز على بيتي وبس. لكن على حريتي لأ.

(فترة صمت)

صاحب الدار (يقطع حبل الصمت) : يللا جودت أفندي. ليش الأخد والعطا؟ مامعنا وقت. رح يأدن العصر يللا سيدي يللا **(للشيال)** حميل يا ابني حميل.

(الشيالون يعودون للحمل)

أحد الحمالين (وقد رأى أن الخزانة ليس لها ضهر) : شوهاد؟! بلاقي الخزانة مالها ضهر؟!

(صابر يأخذ كرسياً ويجلس في مقدمة المسرح منحرفا)

صابر (بسخرية) : نعم من غير ضهر. هي لو كان إلها ضهر لا انت ولا ألف من نمرتك بيقدر يشيلها من أرضها. لكن بلا ضهر صارت خفيفة عليك وعلى غيرك. شيل.

الشرطي : ش ش ش.. سكوت.

صابر (مقلداً) : ش ش.. سكتنا.

صاحب الدار (للشرطي) : شفت سيدي منيح يللي جنابك موجود. لو مو موجود شو كان صار؟

صابر (لنفسه) : شو كان صار؟ كنت قطعت رقبتك وطعميتها للكلب. ماصار شي. واحد انهدم بيته. تشرشح. انزَلْ. صار مشرّد بلا معين، بلا نصير. بلا مأوى، صار خف ريشة تتقادفها الرياح، وإن شكيت ش ش. في حبس.

صاحب الدار (بعد أن أصبح البيت خاوياً) : سيدي مابدكن تشوفوا محتويات بقيت الغرف؟

صابر (لنفسه) : حواك جفت يطلع بخرطوشة لسانك، هو عاد في محتويات؟ ما كله بعته وأكلت بحقه، سأل سوق الهال، سأل سوق الأروان.

صاحب الدار (يفتح إحدى الغرف فيراها فارغة) : لك!! شو مهرّب الغراض؟ بعلمي طقم الكنبايات كان جوّا. جودت أفندي. شوف مهرّب غراضه.

صابر (لنفسه) : لأ...مالوحق. مهرّب الغراض؟ لأ مالو حق أبداً.

صاحب الدار: يعني أديش صرت شايف زلم. متل هالزلمة لسه ماشفت أبداً. هديك اليوم كنت عنده، وشربت فنجان قهوة عليهم. شو وين طاروا؟ صابر أفندي؟ وين طاروا؟

صابر : طاروا مع عقلاتك يا كلحوس افندي يا جربوع القرش، يا خسيس يلل مافيك دم ولا ضمير يردعك. تشنططني أنا وحريمي وتفضحني يا عديم الشعور والإنسانية.يا يا...اتفه.

صاحب الدار : شايف سيدي. شايف رزالته؟

مـأمورالحجز : معليش هلأ. شوف بالغرف التانية في شي غير الضروريات؟ بدنا نمشي تعوّقنا.

صاحب الدار : طوّل بالك...طوّل بالك شويه **(يفتح غرفة اخرى فيراها خالية)** يا حبيبي والتانية مقلفطها. لك شو فين رحت فيهن، والله رح يجنني.

مأمور الحجز : طيب هلأ في شي غيرو بدك تشوفه؟ رح اقفل المحضر.

صاحب الدار : طول بالك لسه في هون.

(يفتح الغرفة التي فيها الحريم).

(أم نبيل ونجاة تولولان من الداخل)

صاحب الدار (يرتد مذعوراً) : أعوذ بالله أعوذ بالله. يللا يا جودت أفندي ضبْ. حاجة مابقا بدنا شي. شرّف سيدي شرّف.

(يبدأ الجميع بضب أغراضهم ودفاترهم)

(أم نبيل تظهر)

أم نبيل : يا ويلك من الله يا ظالم. يا هتّاك الخدور. يا فضّاح الحريمات. ياخسيس.

(يخرج صاحب الدار)

الشرطي : سكّتْ هالحرمة يا صابر أفندي.

صابر (لإمرأته) : ش ش يا بنت الحلال، هلأ بياخدونا يا بنت الحلال.

أم نبيل (متابعة) : الله يصطفل فيك...الله...

صابر : ش ش استرينا بقا ماخلص. يللي أكل أكل، ويللي هضم هضم ومشي الحال **(إلى الشرطي معتذراً)** معليش يا ابني سامحنا، معليشي متل والدتك.

(صاحب الدار عاد ونصفه في الباب)

صاحب الدار : يللا سيدي هدول جماعة أرزال، شرّف سيدي، لاترد عليهن قليلين حق. آكلين مال الناس. عونطجيه.

(يرى المقعد الذي كان يجلس عليه صابر فيحمله على رأسه ويخرج به مسرعاً والجميع في إثره ثم يرتد ثانية)

صاحب الدار : هي أخر مرة عم فهمك فيها. من هون لتلت أيام، إن جبت المصاري جبتهن. وإن ما جبتهن والله، والله لنزلهن بسول الهال، وإجي زتك متل قفة الزبالة الفاضية ع الزقاق. فهمت يا نصّاب؟

(يغلق صاحب البيت الباب بشدة)

(تدخل أم نبيل وترتمي على صدر زوجها باكية)

(صابر يحتضن زوجته باكياً).

(تدخل نجاة وهي تترنم بأغنية غير مفهومة في مرح وذهول، كأن الأمر لايهمها بقليل أو كثير. ثم تضحك بهستريا ممزوجة بالأم)

صابر : بسم الله الرحمن الرحيم. هاتي يا أم نبيل القرآن...القرآن.

أم نبيل (تتلفت هنا وهناك ثم تتذكر) : كنت حاطتّه على الطاولة قبل مايجو.

صابر : أعو بالله من الشيطان الرجيم. طيب معليشي منهم لله. عطيني المصحف الكريم يللي بجيبتي.

(أم نبيل تجد الجاكيت مرمي على الأرض فترفعه وتأخذ المصحف من جيبه)

صابر : شوفي شوفي...شوفي الخساسة والدناءة، عليقة تمنها ليرة ونص، تنازل وشالها ورمى الأواعي على الأرض.

(يأخذ المصحف من أم نبيل ويضعه على رأس نجاة ويبسمل ثم يخرج بها من الصالون إلى الغرفة، يدخل نبيل فيرى منظر البيت الخالي فتقع منه أوراق معاملاته والمصنفات على الأرض، فيواري وجهه إلى الحائط باكياً)

أم نبيل (تضم نبيل إلى صدرها) : ولدي...ولدي.

نبيل (متلعثماً) : أمي...كيف...كيف؟

أم نبيل : آه يا ابني لاتسأل.

نبيل : آه يا ربي شلون بس كيف؟

صابر (مقاطعاً وهو متكئ على الباب) : كيف...كيف؟.. متل مالك شايف...كيّف؟

(نبيل يجمع الأوراق من الأرض صامتاً)

أم نبيل (تغيّر مجرى الموضوع) : وانت يا ابني شو صار معك، طمّنا إنشالله خير؟

نبيل (بمرارة) : إنشالله خير. وعَدونا بعد جمعة نراجعهن.

أم نبيل : يعني خلص انقلبت؟

نبيل : والله أنا عملت اللازم. طلبوا مني فحص مسلكي قدمت. طلبوا مني شهادات.

صابر (مقاطعاً) : طظ.

نبيل (متمماً) : قدّمته. طلبوا ورقة لاحكم عليه قدّمتها. أنجق يطالبوا براسي واخلص بقا من هالحياة الزفت.

صابر (مقترباً من نبيل متهكماً) : سعادتك يا صاحب الشهادات المسلكية والعلمية والحلمنتيشية، داير فيها من باب لباب، تتسكع طالب وظيفة. مع إنك لو جبت كرت صغير ممضي بخط ناعم جميل، كان أغناك عن أوراقك ومصنفاتك وشهاداتك.

(أم نبيل تدع زوجها وابنه لوحدهما وتخرج)

صابر (متمماً) : روح يا ابني روح. بيع فجل أحسن لك من مزلة الناس وإراقة ماء خيبة أملك. شوفني أنا. اعتبر مني يا ابني. لما اتخرجت من الرشدية الإعدادية كان سني من سنك. وحضرت عدة محاربات أسرت فيها، وانأسرت مرات عديدة. ومن ثم التحقت بوظائف عدة إلى أن كانت آخرتها كما تراني. بعد خدمات أربعين سنة، صرت كأني لم أكن ناضلت لأجل تامين راحتي بشيخوختي. وصفيت فشت بجرة قلم.

(يطرق الباب)

صابر : شوف مين؟

نبيل (يفتح الباب) : أهلاً وسهلاً.

(خلوصي أفندي من الخارج صديق صابر)

خلوصي (من الخارج) : الوالد موجود؟

صابر : مين؟

نبيل : عمّي خلوصي أفندي.

صابر : خليه يتفضل. قللو يتفضل.

نبيل : تفضل.

(يدخل خلوصي أفندي، وهو من طراز صابر ورفيق صباه)

خلوصي : خير إنشالله خير إنشالله. خير يا صابر خير **(يتأمل الدار خالية فيعانق صابر)** يا صابر يا أخوي ليش مابتعلمني؟ هاد حق الأخوة؟ هاد عهد العهد؟ لاحول ولا قوة إلا بالله. يعني انت مقطوع من شجرة ياصابر؟ ما ببعت بعلم أصحابي ؟ مابخبّر اخواني؟.. ما بقول مابحكي. فالصديق لساعات الشدة والضيق يا صابر مو لساعات...

صابر (مقاطعا) : بس خلوصي...بس من فضلك بس.

خلوصي : لاحول ولاقوة إلا بالله. يعني سعادتك لو بَعَتْ شقفة كرت صغير من إيدك مع نبيل، أو يقول والدي بريدك لأمر هام أو اعتيادي ياسيدي، ياهل ترى كنت رح تخسر؟ لكن عزة نفسك وشموخك مابترتدع عنها قطعياً. لاحول ولاقوة إلا بالله.

صابر : بس يا خلوصي بس. الله يرضى عليك. تفضل خود راحتك.

(ويشير إلى الكرسي الوحيد في الصالون)

خلوصي (وهو يجلس على الكرسي) : والله أخبرني صديقك عزت أفندي، كان مارر من الشارع، فشاهد الكراجات والعتالين

حاملين ونازلين من دارك. فلما كان بيعرف إنك صديق أخبرني بكل الشرح. لاحول الله ياصابر. يعني سعادتك إن أجريت عنفوانك وضليت على عنادك وانزواءك على نفسك وانطواءك على همّك مين بيدرى فيك؟ مين بيعلم بيك؟ فالإنسان عون لأخيه الإنسان يا صابر.

صابر (بشدة) : شوف يا خلوصي الله يرضى عليك. فالإنسان فالمنسان فالعون فالمون فالبطيخ فالبسمار فبس.

خلوصي (ثائراً في وجهه) : لاتقنط من رحمة الله يا شيخ. إن الذين تعهدهم لم يزالوا على العهد مقيمين، إن العهد عند الله كان مسؤولا ياصابر **(إلى نبيل)** ادخل شوية يا نبيل لأتكلم مع والدك كلمتين.

(يهم نبيل بالدخول فيناديه صابر)

صابر : لالالا... روح لفوق وقلهن للجيران يعيرونا كرسيين.

(يخرج نبيل)

خلوصي (يتلفت ليتأكد من عدم وجود أحد يسمعه) : قسماً بالله والذي اسمه على الماء جمد. والعلي الأعظم إني يا صابر اتأثرت من وضعك جداً جداً.

صابر : الله يحفظك يا خلوصي أفندي.

خلوصي : لاحول ولاقوة. يعني بدّك تفكر يا صابر. نهار فقد والدي واحد، ويوم وفاة المرحومة تنين، واللحظة التي نبأني فيها عزت أفندي الخبر تلاتة. لاحول ولاقوة إلا بالله.

صابر (مواسياً) : معليشي يا خلوصي. أشكرك على كل حال.

خلوصي(متابعاً) : فأنا يشهد الله يا صابر **(وهو يخرج من جيبه المحفظة بيد ترتعش)** لو انّي امتلك سواها لما ضنيت عليك بشئ منها قطعياً. ولكن فرجي عزرك ولا تفرجي على رأي المتل بخلك **(يخرج ورقه من فئة المئة ليرة)** خود يا صابر فك حاجتك، ولو اني أعلم أنها مابتكفي، لكن بحصة بتسند جرة...خود.

صابر (بإباء وتردد) : لالا يا خلوصي.

خلوصي : خود يا شيخ خود .

صابر : لا.

خلوصي: ولك اخجل يا رجل. قسماً بذات العلي الأعلى إن لم تأخذها يا صابر ، فلن أثق فيك أبداً.

صابر : شوف يا خلوصي...أنا...أنا

(تنهمر دموعه ويواري وجهه عن صديقه).

خلوصي : هوّن عليك يا شيخ...إيه...بدّك تخجل مني؟ أنا خلوصي يا صابر.

صابر : بعرف يا خلوصي يا خوي. أرجوك اسمحلي. متشكر ممنون.

خلوصي : الله؟

صابر (مكفكفاً دموعه) : شوف يا خلوصي. انت أنبل رجل عرفته، مع انك أفقر رجل.

خلوصي : الحمد لله.

صابر : بناء عليه، رجّع حيلتك وفتيلتك لجيبك الله يرضى عليك. أولاً جرّتي ماراح يسندها حتى ولا خازوق. وتانياً العلم عند أبومعشر الفلكي إيمتى بقبض أو بنقبض.

خلوصي : يعني أنا طالب تحديد وقت التسديد؟ اختجل يا شيخ. أنا هادي حافظ عليها وشايلها من أجل ساعة لابد منها لكل مخلوق. فهادي مدخرها لجنازتي يا صابر. فإن كان شقائي في الدنيا لسه طويل، وانت الله فرجها عليك كان بها، فإن لا والله وسبق الأجل، فعندها بتسعى لتذهيبي على نفقة البلدية أو نفقة جمعية من الجمعيات الخيرية، فيكون بذلك أمر الله كان مفعولا.

صابر (معانقاً خلوصي) : يا خلوصي ياخلوصي...يا حنوني.

خلوصي (معانقاً صابر) : صابر صابر **(ويدس الورقة المالية بكف صابر، وصابر يمانع وأخيراً يأخذها).**

(يدخل نبيل ومعه كرسيين من عند الجيران)

(خلوصي يجلس ويخرج علبة سجاير)

صابر (وهويجلس لنبيل) : روح ساوي قهوة يا نبيل.

خلوصي : لا والله. ارجع يا ولد. قسماً بالله إني ممنوع عنها وعن الشاي وكل المنبهات.

(نجاة تضحك من داخل الغرفة ضحكة حادة)

خلوصي : خير إنشالله !

نبيل (يتجه نحو الباب) : ش ش خرسي.

صابر : تعا يا نبيل. تركها يا ابني. تركها تفش قلبها.

خلوصي (لنفسه) : هه فهمت. لاحول ولاقوة إلا بالله، شر البلية ما يُضحك. فهادا هو. اللهمَّ أجِرْنا من أعظم.

صابر : عطيني من فضلك سيكارة.

خلوصي (يقدم له سيكارة) : خود يا سيدي خود، بس خايف تفقس بتمك وترجعلها مجدداً.

صابر : هات يا شيخ. بدي لو كان فيها سم لأشربها.

خلوصي : لاحول ولاقوة إلا بالله **(فترة صمت)** نهايته يا سيدي إجا في بالي يا صابر عاصم بك، نروح وياك ونشرح وضعنا إله، علّ وعسى سبحانه وتعالى يلهمه أن ينظر لعسرك حل. يا أما بإيجاد وظيفة بإحدى المصالح، يا أما في إحدى الشركات، يا أما في وكالة عمل من الأعمال يللي تلائم مؤهلاتك، أو مؤسسة من المؤسسات، يا أما يخلق الله ما لاتعلمون، قوم يا رجل. لاتفكر لها مدبر. قوم يللا.

صابر (ينهض ويبدأ بارتداء ملابسه) : يا نبيل.

(يدخل نبيل)

نبيل : نعم.

صابر : دير بالك يا نبيل على اختك. انتبه عليها من شبابيك الشارع لترمي نفسها منها. دير بالك الله يرضى عليك.

خلوصي : معلوم يا نبيل معلوم. انتبه الله يرضى عليك، فنحنا إنشالله بتكون الحاجة مقضية، فلا منغيب أكتر من ساعة. تفضّل يا صابر.

(يُطرق الباب بشدة)

خلوصي (يذهب ليفتح الباب) :خير؟

(يظهر شخصان من أشخاص المستشفى بالملابس البيضاء ومن ورائهما شرطيان وجمع من الناس)

صابر : نعم؟

ممرض : صحية.

صابر : نعم؟

ممرض : صحية صحية.

صابر : هاها...د.د.ت؟..تفضل يا ابني تفضل.

(يدخل الجميع)

الجميع : السلام عليكم.

صابر : وعليكم السلام. نحنا يا ابني متبعين الأنظمة الصحية بكل معنى الكلمة. شوف حضرتك الصالون نظيف. الغرف معقمة تمام. المطبخ يمكن يكون فيه مكروبة مكروبتين، فهدول تاركينهن للبركة. وأما غيرو لاتتعب حالك. نضفناه قبل تشريفكن بشوية.

ممرض ١ : نحنا مالنا علاقة بتنضفوا مابتنضفوا، نحنا جايينا تبليغ بأنه عندك مريضة بحالة شديدة. ولذلك أمر طبيب الصحة بطلب فحص المذكورة، بناء على طلب الجوار وصاحب الملك.

صابر : مافهمت! مريضة! طبيب الصحة ! صاحب الملك جوار! شو مافهمت.

الشرطي (للممرض) : اسمحلي **(لصابر)** جنابك صابر أفندي؟

صابر : نعم أنا صابر.

الشرطي : طيب تشرفنا. القضية يا صابر أفندي انه إجا تبليغ لدائرة الصحة العامة من صاحب الملك بقول فيه بانه موجود في داره المؤجرة لصابر أفندي حرمة بحالة خطرة، تستوجب معاينتها لدى الصحة.

(يظهر صاحب الدار بالباب من ورائه ضجيج الجمهور الذي أتى للفرجة)

الشرطي : فإن كان إنشالله حالتها بسيطة.

خلوصي (مقاطعاً) : بتقصد جنابك إنه يعني في الدار.

(ضحك نجاة من داخل الغرفة)

صاحب الدار : مجنونة مجنونة. إي إي. اسمعوا.

خلوصي : اخرس يا قليل الأدب. اطلع بره. إيش حشرك بشؤون غيرك يابا **(ويرفع بيده العصا مهدداً)**.

صابر (يقف حائلاً دون خلوصي) : بس يا خلوصي بس. هادا صاحب البيت بس.

صاحب الدار (يختبئ وراء الشرطي) : شايف سيدي رزالتهن؟ شهاد عليه.

خلوصي (يحاول الهجوم) : يشهد عليْ يابا...

الشرطي : من فضلك انت ويّاه، كل منكن يحتفظ بهدوءه. فنحنا مكلفين بتنفيذ الأمر ضمن القانون. فكل منكم محترم وفاهم الأنظمة شو هيّي. بناء عليه أرجو إنك تغطي المريضة، وإذا بريد متل أمها مثلاً أو اختها أو جنابك يروح معها، لا بأس تفضل.

صابر : ممنون...متشكر.

الشرطي : اعمل معروف قلهن يتغطوا من فضلك.

صابر : يتغطوا!

الشرطي : إي نعم يتغطوا.

صابر : يتغطوا !

الشرطي : وإن حضرتك اتفوهت واتمنعت، بيكون زنبك على جنبك.

خلوصي (يخاف على صابر فيأخذه من أمام الشرطي) : تعال يا صابر. لاتعترضهن، خلي قضاء الله يتم يا رجل.

(ضحك نجاة من الخارج)

صاحب الدار : سمعان سيدي ؟ ليكها جوّا.

الشرطي : هادا موشغلك خليك على جنب.

صاحب الدار : شلون مو شغلي سيدي؟ البيت بيتي وبخاف تعمل فيه شي مصيبة.

الشرطي : انت صاحب البيت ؟

صاحب الدار : نعم سيدي صاحب البيت محسوبك.

الشرطي : وليش كل هاد معجوق ؟

صاحب الدار : شو ليش كل هاد سيدي ؟ حاكم الله يطوّل عمرك بخاف لتقوم تعملي شي حريقة بالبيت، وإلا تكسرلي البلور تبع الشبابيك. حاكم المجنونة سيدي ما بتقدر عواقب.

الشرطي : بس بس **(للممرض)** شوف شغلك يا أبو راشد.

صاحب الدار (يخرج للجمهور) : يللا يا اخوان يللا لك شوفي فرجة ؟

ممرض (لصابر) : يللا أخي يللا. هلأ الدكتور بروح، وبعدين بتصفي الحكاية لبكره هه. بقا فوت يسّرها وخلينا نمشي (لزميله) تعا أخي تعا.

ممرض ٢ : إذا كان مافي حدا عندها، معلشي نحنا منفوت منطالعها. بس انت خدلنا درب. تعا أبو راشد هي شغلة طويلة **(منسحباً لبره)** ويصطفلوا. تعا خيي تعا **(يتجهان نحو غرفة نجاة).**

نبيل (يصدهم بوضع يديه على باب الغرفة معترضا) : لالا مو ممكن...مو ممكن.

ممرض ٢ : لك ابني روح هيك مابدها علاج هه. بدنا نفوت نسحبها.

نبيل : غير ممكن إلا إذا مريتوا على جثتي.

ممرض ٢ : لك إي روح هيك **(يلقيه على الأرض)**.

نبيل (يرتد فيقبض عليه الشرطي) : بابا بابا.

(يدخل الممرضان الغرفة).

(صابر يحاول النهوض ليعترض الممرضين)

خلوصي (يمنعه) : اقعود يا شيخ تجمل بالصبر يا صابر.

(تدخل نجاة راكضة وصارخة والممرضان وراءها)

نجاة : بابا ماما...أخي... بابا...

صابر : بنتي بنتي.

نبيل : اختي اختي.

(الممرضان يلحقان نجاة ويقبضان عليها ويخرجون بها جميعا)

صاحب الدار (للمتفرجين) : يللا بقا عاد في فرجة ؟ هي أخدوا المجنونة وراحو يللا **(للشرطي)** شرفوا سيدي شرفوا.

(يخرج صاحب الدار ويخرج وراءه الشرطيان ويغلقون الباب)

(صابر يجهش بالبكاء ورأسه على صدر خلوصي ونبيل يحتضن أمه المغمى عليها المتوسدة على الأرض وخلوصي متأثراً وهو يقول)

خلوصي : تشجع يا صابر. المؤمن إذا أصابته قضية قال : اللهم لاحول ولاقوة إلا بالله.

(ستار)

انتهى الفصل الأول

الفصل الثاني

المنظر : صالون فخم في بيت عاصم بك.

(يرفع الستار وجرس التلفون يرن، الآغا يدخل مهرولاً على صوت التلفون)

الآغا (يدخل) : الو ألو. نعم نعم. محسوبك الآغا. البيك لسه والله ما شرّف. مين حضرتك؟ أهلاً وسهلاً **(يدون الاسم على ورقة)** طيب على عيني مع السلامة **(يقرع الجرس، يرتد للساعة بعصبية)** ألو...نعم. أنا عفريت. ها...العفو العفو سيدي بس كان طالع خلقي شوية. الله يطول عمرك ياسيدي **(يضحك)** سألوا ناس كتير **(يقرأ)** يا سيدي عمر أفندي زادلي. قال سعادتك على موعد سابق معه. سليم بك الحنش قال سعادته بترجاك رجا خاص انك لا تنسى الطلب اللي ببالك منه. المختصر؟ طيب سيدي. عوني بك شفيق الشفاف، سلوم بك سلومة، حافظ أفندي حفيظة، خلوصي أفندي. بس يا سيدي.

أمينة (تدخل) : مين اللي عم يحكي يا آغا؟

الآغا : سيدي عاصم بك **(للتلفون)** الست الخانم يا سيدي. طيب اتفضلي .

(يعطيها الساعة).

أمينة : ألو... عصومة. اتأخرت يا ماما. انتظرتك للساعة ٣ وانت بتعرف عندي موعد.... نعم بدي امرق ع الكوافير وشوف بروفة التايور عند متري. وبدي امرق على سوسو خانم الساعة أربعة وربع ، وبرجع الساعة ٦ مشان وقف على ترتيب البوفيه. نعم؟... اتفقت مع مطعم سنترال؟... عال لكان اعمل معروف ابعتلي السيارة ما عاد في وقت بعتها. طيب شكراً ياشيري **(تضع السماعة)**. انت لسه واقف. فين الصانعة تجي تعاونك وتفرشوا الطاولة بالصالون. وبدك تجيب الزهور اللي قلت لك عليهم على بكره لسه عم بتمهيص. نجلا نجلا.

الآغا : راحت تودي صينية الكبة ع الفرن.

أمينة : وليش ماأخدتها انت؟ وهَيْ شغلة رجال والا بنات.

الآغا : ياستي.

أمينة : روح هلأ من وشي. روح شوف شغلك بلا كري.

الآغا : حاضر **(يهم بالخروج)**.

أمينة : اسماع لقلك افتح تلفون مشان يبعت الجرسون تتعاون انت وياه **(تسمع صوت السيارة)** هه... اجت السيارة.

الآغا : حاضر.

أمينة : اسمع...وبس تجي نجلا قللها تجلي أرض الصالون متل مانبهت عليها.

الآغا (وهو يمسك التلفون) : حاضر.

أمينة (تخطو وتعود) : اسمع.

الآغا (يضع يده على فم السماعة) : نعم **(بفروغ صبر)**.

أمينة : قلهم يزودوا السرفيس لشخصين تانيين.

الآغا (بتأفف) : حاضر.

أمينة : اسمع.

الآغا (بهمهمة).

أمينة : مابدي ارجع عيد الكلام. بدي لاقي كل شي جاهز...شو فهّمتك؟

الآغا : حاضر. مع السلامة **(تخرج أمينة)** أعوذ بالله. بدنا نحتفل بقى بعيد وفاتها.

أمينة : بدك شي آغا؟

الآغا : أبداً مع السلامة يا ستي **(تخرج أمينة)** أنا بدّي ياك. بدّه ياكي عزرائيل. **(يتكلم)** ألو انت التاني. علّي صوتك ماعم اسمع من كتر مافي لت عنا. أخي. اللهم صلي ع النبي. شو بدّي قللك...آه...اعمل معروف زيدوا السرفيس جرسون واحد لأ الجرسون سرفيس. والله ماعدت أعرف احكي. زيدوا

سرفيس لشخصين وابعتلي الجرسون على بكير حتى يعاوني. متشكر يا سيدي (**يترك السماعة**) يا أمة الله. حدا بيعمل عيد ميلاده عشر مرات بالسنة. إي مولودة بالتقسيط؟ البنت طولت بالفرن انشغل بالي ليكون احترقت الصينية (**جرس الباب**). خير إنشالله منو هدول. ها. يكمن الجراسين اللي بدهم يعاونوني بالحفلة

(**يفتح الباب الوسط**).

صابر (أمام الباب) : اتفضلوا سيدي.

خلوصي : قسماً لم ممكن.

صابر : لا والله.

خلوصي : أقسمت يا رجل حرام.

صابر : أعوذ بالله مستحيل.

خلوصي : إذن ندخل سوا (**يدخلان**).

الآغا (ينظر إليهما من خلفهما بدهشة واستخفاف): يللا يللا... وجبْتوا بعضكن واشبعتوا؟ لجوّا بقى.

خلوصي : فين جوّه؟

الآغا : ع المطبخ. لروح شوف الصانعة بالفرن واجي (**يخرج**).

(خلوصي وصابر يحاولان تفسير الموقف ناظرين لبعضهما، ويدوران حول نفسيهما. ثم يدرك صابر الموقف فينفجر ضاحكاً)

خلوصي : أضحكنا معك يا صابر **(يتابع صابر الضحك)** أضحكنا يا رجل.

(صابر ينهي ضحكته بمرارة وألم)

خلوصي : بالله تحكي ليش عم تضحك.

صابر : لأنه شي بيضحك. عم بضحك من تصرفات القدر. كيف خلّا أبسط الناس يفسر انه مسطرتنا خرج مطبخ تمام **(يسمع حركة)**.

خلوصي : هص وطي صوتك. زرّر جاكيتك. نفّض طربوشك. نحنا ببيت أكابر.

(حركات من صابر على حسب الإرشادات وبسرعة مضحكة)

خلوصي (يصفق) : يا أهل الدار يا أهل القصر العامر. يا أصحاب الفيلا. يا أهل الخير.

صابر : الله يحنّن عليك.

خلوصي : هص مو وقته. اسمع. يا أهل الخير.

صابر (يضحك ضحكة مكتومة) : قال أهل الخير قال. والله لوتنبح ماحدا رادد عليك.

خلوصي : بس بقى. مو كل الوقت مزح.

صابر : ليش مين عم يمزح. هيِّ الدنيا يا ابني اللي عم تمزح معنا بالظاهر.

خلوصي : الله يصلحك.

صابر : تفضل نادي. ماتنادي **(مقلداً إياه ماداً يده كالشحادين)** يا أهل الخير. يا فاعلين الخير عند الله إي نحنا جايين نشحد؟ اسمح لي اعمل معروف قابله على طريقتي بقى **(مناديا)** يا سيد عاصم.

خلوصي : سيد عاصم؟ ! عاصم بيك يا بني آدم.

صابر : بيك؟ ليش معه براءة بالبكوية؟

خلوصي : لأ. لكن على كل لازم.

صابر : معلوم الحق بإيدك. النفاق لازم.

الآغا (يدخل يحمل صينية كبة) : انتو لسه هون، خود من إيدي.

(يعطي الآغا الصينية إلى خلوصي الذي يدفعها بدوره إلى صابر لأنها ساخنة. وصابر يدفعها بدوره لخلوصي بطريقة فكاهية وهكذا. ثم يدفعها خلوصي للآغا الذي يبقيها بيده ناظراً إليهما بغضب)

الآغا : ياحبيبي ليش هيك عم تعملوا؟

صابر : مالك شايفها متل النار. ماتقللو يا خلوصي.

خلوصي : مظبوط احترقو إيدَيْ **(ماصاً اصابعه)**.

الآغا (يضحك لبلاهتمها) : هه شوف وين السخن؟ باردة متل البوظ.

صابر : انت مركب نصاص نعل لكفوفك. نحنا نازيك، مو متل حكايتك.

الآغا (لصابر) : إي سكوت بلا لت **(يأخذ الصينية منه ويضعها على الطاولة)** خود فوت حطها بالبراد، وانت اشلحلي هالبدلة السموكن يللي مصرصر فيها، طالع متل الشمسية العتيقة، لبين ماروح ع الكركون بلّغ عن البنت الصانعة يللي هربت مع أجير الفران **(يخرج)**.

صابر (وهو يأكل من الصينية شقفة كبيرة) : خود دوق. أما شو كبة. عليم الله بحياتي ما دقت متل حكايتها.

خلوصي : شو هاد؟ الله يصلحك. مديت إيدك ع الصينية.

صابر : شو مديت إيدي. أنا سبحت فيها روّاسي، بتحب تسبح معي؟

خلوصي : ممنون متشكر، هالمغطس مابيساع اتنين. شو بدنا نقللهم هلأ؟

صابر : شو بدنا نقللهم؟ في شهود انه نحنا أكلناها؟

خلوصي : الحق بإيدك **(يتلفت حوله)** هات لشوف شو صفيان.

صابر : في الدواير. بركي سنانك أمكن خود **(يأكلان ويتحدثان عن الصينية)**.

الآغا (يدخل. يروح ويجيء دن أن ينتبه إليهما قائلاً) : لاحول الله. شلون هيك؟ الحق عليّ أنا من الأول.

صابر : خير إنشالله يا...الاسم الكريم **(محاولاً إخفاء الصينية خلف ظهره)**.

الآغا (بذهول) : أنا حمار.

صابر : أوعا ياخلوصي يعنفص عليك (**خلوصي يأخذ الصينية متابعاً أكلها وهو يخرج**) شو صار خير إنشالله؟

الآغا : أنا تور.

صابر : شو غيرت اسمك قوام؟

الآغا : أنا تيس.

صابر : العمى هادا صار طرش.

الآغا : إيدي بزنارك الحقني بكفين ببوكسين برفستين. لأني أكبر دب في العالم.

صابر : فهمنا اسمك وكنيتك بس شو القصة.

الآغا : لا والله إلا تضربني بالأول. وحياة عاصم بك إلا ماتضرب.

صابر : إي خود لكان (**يضربه**) منيح؟

الآغا : آخ...عال...كمان بحياتك.

صابر (يضحك) : حاجتك.

الآغا : كمان أرجوك.

صابر : عجبتك القتله بالظاهر (**يضربه، يفتح عاصم الباب ويدخل ويشاهد ما يجري**).

الآغا : كمان.

صابر : خود (**يضربه**).

الآغا : كمان.

صابر : خود (**يضربه**) انفشْ قلبك؟

الآغا : كمان.

صابر : مابقى توفي. هادا راعيتك كتير. لغيرك مابتصير. بفجُّهْ راسك.

عاصم : شو هاد يا آغا (**حركة ذهول من الاثنين بدهشة**).

الآغا : أهلاً سعادة البيك.

عاصم : ليش هيك عم تعمل؟

الآغا : راح جن يا سيدي من هللي صار.

عاصم : شو صار.

الآغا : الصانعة هربت مع الفرّان.

عاصم : شو؟

الآغا : وحياتك يا بيك.

(قلق من صابر في وقوفه وتطلعه نحو المطبخ إلى خلوصي)

عاصم : وبعدين؟

الآغا : عطيت خبر للشرطة.

عاصم : عال...وليش جانّين لهالدرجة؟

الآغا : لأنه مالقت تهرب غير اليوم وتربّطتْ إيدي.

عاصم : بسيطة على مهلك لاتضوج. حدا سأل عني؟

الآغا : لا يا سيدي.

عاصم : طيب **(يخطو)**.

الآغا : سيدي.

عاصم : شوفي؟

الآغا : مطعم الآغا بعت الجرسونات **(مشيراً إلى صابر)**.

عاصم (مولياً ظهره) : خليهم يعاونوك. واستعجلهم شويه **(يخرج نحو غرفته)**.

الآغا (لصابر) : امشي الحقني لنشوف شوبدنا نعمل. شبك واقف متل الصنم؟ ماسمعت امشي وين رفيقك سنكوح أفندي؟

صابر : اخرس سنكوح واحد متلك مابتستحي صحيح. هادا فوق ماقتلتك. هي جزائي بتحكي على صاحبي. احكي معي بأدب أحسنلك.

الآغا : العفو يا جناب الأفخم بتأمر سعادتك تتكرم وتتعطف وتتنازل وتكب تنكة الزبالة.

صابر : بدي كبّها على راسك.

عاصم (من الداخل) : شوهاد يا آغا وطي صوتك انت ويّاه عيب.

(خلوصي يدخل وهو يزدرد الطعام)

صابر **(وقد اشتد ساعده بدخول خلوصي)** : شوف وحياة مين ضربك وقادر يضربك بكل ساعة وببلاش، لو ماعرفت انه في

كلامك سوء تفاهم لكنت ما عود اضربك بحياتي. لكن معليش فوت قول لسيدك خاوصي بك وصابر بك الأفندي. بريدوا يقابلوا سعادتك لحظة.

الآغا (بدهشة) : آآ.

خلوصي : روح قوام مادام فهمت.

الآغا : حاضر يا سيدي لاتواخذني .

(يدخل عاصم يلبس الروب دوشامبر).

عاصم : مين خلوصي أفندي!..أهلاً وسهلاً.كيفك كيف صحتك؟

خلوصي (بتزلف زائد) : الله يطول عمر سعادتك ويديمك.

عاصم : كيف شغلك؟..كيف عملك ماشي الحال؟

خلوصي : بأنظارك يا سيدي نحنا بألف نعمة الحمد لله.

عاصم : العفو . اتفضلوا اتفضلوا.

خلوصي : والله صرت مخجول من سعادتكم على ازعاجي لسعادتكم وخاصة بوقت متل هالوقت اللي مخصص لأخد راحتكم وقيلولتكم.

صابر (على حده) : شو هالكولكة هيْ. ياعيني. أنا مستحيل يطلع معي هيك كلام **(يجلسون).**

عاصم (بعظمة) : بقى قلتلي شغلك منيح. واشلون المحروسة؟

صابر (لخلوصي) : بلاقي مانتكشتوني. احم احم.

خلوصي (لايعيره اهتماماً، موجهاً كل اهتمامه نحو عاصم بك، مديراً له ظهره متمماً) : المحروسة بتقبل أياديكم يا سعادة البيك. السنة تعينت بالشام بدال دير الزور.

عاصم : شفت كيف انه الواسطة لا تُنكر.

خلوصي : صدقتم سيدي لا تُنكر. جعل الله مساعيكم كلها إلى الخير.

صابر : احم...احم.

عاصم : العم هون.

صابر : الحمد لله اللي شافني **(ينحني وينحني عدة مرات)**.

خلوصي : صديقي ورفيقي من أيام الدراسة.

عاصم : أهلاً وسهلاً. اتفضل خود راحتك **(يجلس صابر بأدب)** الاسم الكريم؟

صابر : صابر.

عاصم : شي لطيف...صابر إيش؟

صابر : العنتابوسي في الماضي. لكن هلأ صابر وبس.

عاصم (يضحك) : شي جميل.

صابر : لكان... شي جميل.

خلوصي : بتعرف يا سعادة البيك انه صديقي صابر كان دائماً االأول بصفه.

صابر : كان ياما كان. كنت الأول بصفي وهل صرت الأخير بصف الحياة.

عاصم : الدنيا حظوظ يا صابر أفندي.

صابر : لأ لأ غلطان سعادتك.

خلوصي (يعض شفته) : هص عيب. هيك بقولوا لسعادته؟!

صابر (بغيظ مندفعاً واقفاً) : سعادتك فهمان بالأول شو كنت بدي فهم سعادته عن وجهة نظر سعادتي؟ والا سعادتك عامل حالك سقف حلق سعادته؟ كل ما حاكيت سعادته بتفز سعادتك بتدافع عن سعادته، كأن سعادته عامل وكالة لسعادتك، وسعادتك عامل ناظر وصي لسعادتي. والا سعادتك فنينة حلق سعادتي؟ عواض ماتترافع سعادتك عن سعادتي، بتفز سعادتك بتتخاضع مع سعادته. بقى اعمل معروف دشر سعادتي نتفاهم مع سعادته، وانت ريّح جناب سعادتك، وبصطفل من سعادتي لسعادته.

عاصم (يضحك بسرور وينهض متقدماً نحو صابر، وصابر ينحني له من جديد) : بتعرف انك عجبتني يا صابر.

صابر : مقدم يا سيدي مافي شي محرز.

عاصم (يضحك) : أنا بحب دايماً الصراحة.

صابر : بس مع الأسف الصراحة ماعادت ماشية بهالأيام، اللي ماشي ياسعادة البيك التزلف والرياء والغش والنفاق، وهدول كلهم ضد محسوبك، ومحسوبك ضدهم على طول الخط.

عاصم : برافو عليك يا صابر أفندي.

خلوصي : يا سيدي لندخل لب الموضوع، صديقي صابر توقّع عليه الحجز بسسب عجزه عن دفع القسط المترتب عليه من اجرة سكنه يللي مستأجره.

عاصم : خير خير؟

خلوصي : الله يجعلكم بخير يا سعادة البيك، والنتيجة كانت علاوتها أيضاً لأجل تكمل الأشياء انها بنته نجاة حدث معها حادث من شدة كبتها وتأثرها من الحال اللي حدث، انه مسكينه... مسكينه انه.

عاصم : انه؟

صابر : انه جنت.

عاصم : يالطيف. وبعدين؟

صابر : وبعدين جايي دوري أنا.

عاصم : لاسمح الله.

صابر : سمح وخلص.

عاصم : الإنسان معرض في الحياة. والعاقل لازم يكون طويل البال وحكيم يا صابر أفندي.

صابر : الحرب بالنواضير هينه يا سعادة البيك.

عاصم : شو يعني ما فهمت؟

صابر : يعني اللي عم ياكل العصي مو متل اللي عم بعدها.

عاصم : الحق معك...أنا مقدر وجعك.

خلوصي : يا سيدي نحنا اجينا لعندك مشان سعادتك تتعطف عليه بكرت لشي مصلحة من المصالح اللي تشوفها سعادتك مناسبة لصابر أفندي. وبتكون بذلك أنقذت هالعائلة المنكوبه من العدم.

(تأثر من صابر وابتسامة مرة، مشهد تفكير عاصم بيك وتطلعه إلى صابر بين الحين والحين، ويبتسم صابر وزميله مرات متعددة حتى فروغ صبر الاثنين معاً).

صابر : قوم لنمشي بقى يا خلوصي.

خلوصي : طول بالك الله يرضى عليك. مابدّه يكتب لك الكرت سعادة البيك **(غامزاً)**.

صابر : بركي مابيعرف يكتب؟

عاصم : أنا بشوف.

صابر : هه...هَيْ راح يشوف **(على حده)**.

عاصم : أنا بشوف انه قبل الكرت. يروح هوّ يدوّر بهالدوائر بهالشركات هون هون، فين في محلات بدهم موظفين، يجي يقول عليهم. وساعتها بكتب له اللي الله يوفقني عليه.

خلوصي : مظبوط. رأي سعادتك معقول. مابدّه يعرف سعادته في محل شاغر يكون ملائمك ليتوسط فيه؟ والا بدّك سعادته يروح بنفسه يدوّر لك على محل شاغر ويوظفك فيه؟

صابر : هه رجعنا لسعادته وسعادتي. بلا كولكه بقى.

عاصم (يضحك ويضحكان، ثم يصمتان فجأة) : على كل حال لاتقطع الأمل يا صابر أفندي. إلك عندي مشروع عمل في المستقبل.

صابر : بالمستقبل!

(عاصم يغدو ويروح في الصالون)

عاصم : إي نعم بالمستقبل إنشالله.

صابر (لنفسه) : عيش يا كديش حتى ينبت الحشيش

عاصم : ولبينما يتم هالمشروع يا صابر أفندي.

صابر (لنفسه) : بكون متت وصارت عضامي مكاحل.

عاصم : قريباً بإذن الله.

صابر : المشروع والا المكاحل؟

عاصم : لأ...المشروع.

صابر : حسّبت.

عاصم : ولذلك عم فكر لبينما هالمشروع يتم ويظهر للوجود.

صابر : يكون محسوبك هو وعائلته انمحوا من الوجود.

عاصم : لأ مو بعيدة إنشالله. ولذلك فكرت بالوقت الحاضر إني...إني.

صابر : واجهك ليصير مشروع؟

عاصم : لأ...نظراً لإخلاصك وصراحتك، فكرت إني اتخذك اتخذك.

صابر : زوجة!

عاصم (يضحك) : لأ. اتخذك وكيل أعمالي.

صابر : ها حسبت قللي عقلي بركي.

عاصم (يضحك) : لبينما نشوف شو الله بيسر.

خلوصي (بسرور هائل) : عظيم.

صابر : عظم الله أجركم.

خلوصي : اللهم ربي أنت الرزاق وأنت أكرم الأكرمين.

صابر : والله انت بتليق تصير نقيب الشحادين.

خلوصي (يضحك) : الله يسامحك يا صابر. وإيمتى إنشالله سعادتك بتحب يباشر صابر أفندي بالشغل يا مولانا؟

عاصم : اعتباراً من هذه الساعة. انت يا صابر افندي اعتبر نفسك من هلأ واحد من العائلة. وبهالمناسبة بدي بلغك انه عنا الليلة حفلة عيد ميلاد الست مدامتي.

صابر : وإنشالله بدّي نقطها؟. لأنه ما معنا غير هالميت ليرة تبع الجنازة.

عاصم : وإنشالله بهالحفلة بصير كل خير منشانك.

خلوصي : عال إذن بعد مااطمأنيت عليك. أنا أستودعكم الله بقى يا سعادة البيك.

عاصم : وقف رايحين سوا. آغا يا آغا **(يدخل الآغا)**.

الآغا : نعم سيدي أمر؟

عاصم : شوف يا آغا. العم صابر أفندي صار اعتباراً من اليوم واحد منا وفينا. مفهوم **(غامزاً)**.

الآغا : نعم يا سيدي مفهوم ونص (**بسخرية**).

عاصم : وأنا هلأ رايح مابطوّل، ولبينما ارجع ابقى اتسلى انت وياه.

(يخرج عاصم للغرفة ليلبس)

الآغا : حاضر سيدي. هلأ بنتسلى تمام.

(نظرات بين الآغا وصابر، تهديد ضمني من الآغا واستفسار ضمني من صابر)

خلوصي (للآغا) : روح بقى لشغلك. ليش عم بتأكد فيه كل هاد؟ شوفي بوشه كركوز؟

الآغا (مشيراً إليه) : وعيواظ كمان.

(يتوارى الآغا خلف الصالون)

خلوصي : شوف قليل الأدب شوف!

صابر : ليش حاكيته مادام بيعرف اسمك يا عواظ.

عاصم (يدخل لابساً بزته) : اتفضل خلوصي أفندي.

خلوصي : اتفضلوا سيدي. خاطرك يا صابر. مابدّي وصيك. دير بالك على شغلك هه. وأنا هلأ كمان رح امرق على أم نبيل وبشّرها وطمّنها انك استلمت شغل والحمد لله. عدم المؤاخذة يا سعادة البيك عطلناكم اتفضلوا(**يخرجان**).

الآغا : امشي بقى يللا. علينا ميت شغلة، هلأ بتجي الست بتتعبّا فينا.

صابر : ست؟

الآغا : إي ست.

صابر : أنو ست؟

الآغا : ستي.

صابر : ستي ازبقي.

الآغا : هي استحي. امشي الحقني.

(يجلس صابر ببرود ويلف ساق على ساق، ويأخذ عقب سيجارة من المنفضة، ويحاول أن يولعه فلا يستطيع. ثم يضع به دبوس ويمسكه بعظمة ويشرب والآغا ينظر إليه بدهشة)

الآغا : وبعدين معك؟..شو بتأمر هلأ؟

صابر : هاتلي كاسة مي.

الآغا : كاسة مي؟

صابر : إي كاسة مي.

الآغا : وبتأمروها سعادتم باردة والا سخنة؟

صابر : ابرد منك.

الآغا : وبتحب حطلك فيها ماء زهر والا ماء بارد؟

صابر : لأ...ماء فونيك. ماء فضة. روح امشي من وشّي. قليل الأدب.

الآغا : والله عال جبنا الأقرع ليونسنا. كشف عن قرعته وخوفنا. قوم يازلمة عاوني عنا معازيم الدنيا جايين، ولسه البيت قايم قاعد.

صابر : وأنا شو دخلتْ ضربة تشمط رقبتك انت والبيت سوى. هادا مو شغلي.

الآغا : لكان شو شغلك أخي؟

صابر : أنا شغلي واحد منكم وفيكم بهالبيت وبس.

الآغا : إي والله تشرفنا. بس بدنا نفهم شو يعني مركزك بالعيلة؟

صابر : أنا تقريباً أنا (**لنفسه**) صحيح شو أنا؟ لكن على كل حال مو خدام.

الآغا : لكان خدمتشي؟

صابر : خدمتشي واحد متل حكايتك. أنا (**بذهول**) صحيح شو أنا؟ أنا صابر العنتبوسي (**يضحك بسخرية**). كنا وكان يا ما كان. أما اليوم لازم اعترف بالأمر الواقع، هو اني صرت خدام. نعم خدام ونص.

(يقترب صابر نحو الآغا باستسلام، فيضع الآغا الوزرة في رقبته، وبصورة آلية يدير له ظهره)

صابر : مكنها منيح. لأنه هي هي البدلة اللي راح اقضي فيها بقية حياتي.

(يسدل الستار)

انتهى الفصل الثاني

الفصل الثالث

(نفس دار عاصم بيك. الوقت مساء والصالون مضاء. أمينة خانم تشرف على ترتيب المزهريات، وهي تأمر الآغا بأوامر سخيفة).
(الآغا حاملاً مزهرية ومرتبك في منتصف الصالون وهو متضجر بصمت).

أمينة (ثائرة) : قلتلك حرك رجليك شويه. لسه بتمهيص؟

الآغا (يركض وهو واقف في مكانه) : هَيْ راكض أكتر من الترمبيل.

أمينة : والصغر إنشالله عم تلعب.

الآغا : ماقلتيلي حرك رجليك؟

أمينة : حرك رجليك يعني استعجل يا مجدوب.

الآغا : ها...آه...حاضر **(يضع المزهرية على الطاولة)** هه.

أمينة : موهيك. دير الزهور لناحي.

الآغا : هم...هيْ دوّرناهم لناحك.

أمينة : وينك؟

الآغا : نعم.

أمينة : وين هادا اللي عم بعاونك؟

الآغا : مو صابر؟

أمينة : إي.

الآغا : عم يساوي الليموناضة بالمطبخ.

أمينة : روح جيب طربيزة من جوه.

الآغا (يهم بالخروج) : حاضر.

أمينة : وينك.

الآغا : نعم.

أمينة : تعا شيل هالكرسي من الدرب.

الآغا : هه **(يحمل الكرسي ويضعه في محل ثان ويتحرك للخروج)**.

أمينة : وينك.

الآغا : نعم.

أمينة : وين رايح؟

الآغا : رايح جيب الطربيزة متل ما...

أمينة : لأ...تعال قبله شيل الزهور ورجعهن لمحلهن مو حلو منظرهن هون.

الآغا (يحمل الزهور ويضعهم في محل ثان) : هم...هَيْ بطخناهم لعاشر مرة بهالربع ساعة.

أمينة : مابخصّك...وينك.

الآغا : نعم.

(يدخل صابر مشمراً عن ساعديه، يأخذ الفوطة من فوق كتف الآغا ويمسح يديه صامتا)

أمينة : اسمع تاني مرة ولاكلمة. أنا الخانم يللي بتحكي هون.

(صابر أثناء تنشيف وجهه يحدث صوتاً وهو ينف بالفوطة، ثم يعيدها على كتف الآغا كما كانت ويخرج وأمينة تنظر إليه باستغراب)

أمينة : شو مختل هالزلمه؟!

الآغا : والله يا ستي متل مالك شايفه. قال جبناك يا عبد المعين تعيننا.

أمينة : هص بقى. حاجة تعيد وتفتق. يللا هلأ بيجي الضيوف لروح شوف شو عمل هداك التاني بالمطبخ **(تخرج)**.

(يدخل عاصم من غرفته إلى الصالون وصابون الحلاقة على وجهه والفوطة على رقبته وبيده موس حلاقة وهو بحالة غضب، وبيده الثانية طاسة الحلاقة فيها صابون)

عاصم : آغا... يا أغا.

الاغا : نعم سيدي.

عاصم : مين لعبان بموس الحلاقة لحتى صار متل المنشار؟

الآغا : والله يا سيدي ما بعرف. اسأل ستي الخانم.

عاصم : شو يعني بتحلق دقنها بالموس؟

الآغا : لأ...بالشفرة.

عاصم (بشدة) : عم بتنكت يا بارد؟

أمينة (داخلة) : شوفي عم بتعيط يا عاصم؟

عاصم : يا ستي مدري مين لعبان بالموس نازعه ماعاد حلق؟

أمينة : بكون لأنا فتحنا فيه تنكة الكاز على بكره. بسيطة فوت صلحه. قوام خفها. هلأ بيجو الضيوف.

عاصم : أمرك بس لاتزعلي يا روحي **(تبتسم أمينة بسخرية وتخرج)** آغا.

الآغا : نعم سيدي.

عاصم : وينه هادا صابر؟

الآغا : يا سيدي الله وكيلك قال اجا حتى يشتغل معي ويعاوني، صرت بدي اخدمه. قال جبناك يا عبد المعين.

عاصم (مقاطعاً) : هلأ وقت أمتالك. روح اندهله لهون قوام.

الآغا : حاضر.

(يخرج الآغا ويبقى عاصم يرغي الصابون على ذقنه)

الآغا (منادياً) : يا صابر يا صابر.

(يدخل وعلى رقبته بشكير والصابون على وجهه ويرغي بالفرشاة)

صابر: نعم. واحد عم يحلق بقولوله كلن بهالدقيقة. والله مو مظبوط...نعم؟ أمر؟

(عاصم تجمد حركة يده)

صابر : هلأ بتنشف الصابون على دقنك، ليش كل هاد عم بتأكد فيي يا بيك؟

عاصم : عم أكد فيك واتعجب، حيث انه هلأ وقت حلاقة دقنك يا سيد؟

صابر : لكان إيمتى ع العيد. مو انت جنابك عم تحلقها كمان؟

عاصم : قول أنا بدي استقبل الضيوف والزوار بصفتي صاحب الدعوة. لكن انت لإيش حلاقتك هلأ؟

صابر : بتريدها انت يا بيك؟ انت تستقبلهم حالق مقطف منضف وأنا ناتع دقن متل بابا نويل؟

عاصم (ضاحكاً) : بتعجبني سرعة خاطرك وتخلصك.

صابر : وأنا بتعجبني رشاقتك.

أمينة (داخلة) : شوهاد يا عاصم؟ لسه ماخلصت حلاقة؟

عاصم (يسرع بدعك ذقنه بالفرشاة) : أيوه...هه...هه...هه عم طريها.

أمينة : قوام شيري هلأ بيجي الضيوف **(تشاهد صابر)** شوهاد انت التاني؟

صابر (يفرك ذقنه بالصابون) : وأنا التاني عم طريها...هه...هه.

(يقترب ويأخذ الصابون من ذقن عاصم بيك بفرشاته ويدعك ذقنه)

أمينة : عال...شي حلو...خزيت العين صار بيتي صالون حلاقة.

صابر : صنعة باليد أمان من الفقر يا ست.

أمينة : انت زلمه شواز. بعمري ما شفت خدام بيحلق قدام سيده.

صابر : إي ستي معليش. طنشي. هالحياة ياما فيها مناظر مؤذية يا ست.

عاصم : بس بقا يا صابر. روح كمّل حلاقتك جوّه.

صابر : حاضر.

(يأخذ صابر من ذقن عاصم رغوة صابون، ويخرج وهو يدعك ذقنه)

أمينة **(بعصبية)** : فين جبتللي هالخدام اللي لسانه أطول من معسفة؟

عاصم : ما فهمتك قصته يا ستي وقلتلك اني شفقت عليه نظراً للحالة البائسة يللي اجاني فيها.

أمينة : شفقت عليه لاقيله شغلة برات بيتي اعمل معروف.

عاصم : على عيني بس خليه يعاوننا بهالحفلة الليلة يا شيري.

أمينة : طيب. بس بكره مابدي شوف وشه ببيتي.

عاصم : خلص وحياتك يا روحي بكره من قبل الضو بصرفلك ياه اضحكي بقا **(تضحك بتصنع)**.

أمينة : يللا فوت البس بقا.

عاصم : حاضر **(يدخل إلى غرفته).**

أمينة (منادية) : آغا...آغا.

الآغا (يدخل وهو يمشط رأسه) : نعم...نعم...خانم...نعم.

أمينة : شو عم تعمل جوه انت التاني؟

الآغا : يا ستي حلقت دقني وعم مشط شعري.

أمينة : خلصت شغلك بالأول؟

الآغا : نعم يا ستي. كل شي مرتب وجاهز على آخر موديل.

أمينة : لاتنسى تلبس كفوفك البيض وانت عم تقدم طلبات الضيوف.

الآغا : حاضر.

أمينة : وحضّرت الشمعات يللي بدهم ينصفّواع الكيك؟

الآغا : معلوم.

أمينة : كم شمعة حضّرت؟

الآغا : سبعه وعشرين شمعة متل كل عيد.

أمينة : لأ...نقّصهن هالمرة شمعة.

الآغا : حاضر...لكن بظن بعيد ميلادك الماضي يللي عملتيه قبل بشهرين كانوا سبعه وعشرين شمعة يا ستي.

أمينة : أنا مبارح راجعت تاريخ تولدي، لقيت حالي غلطانة. نقّصهن شمعة متل ماقلتلك.

الآغا : على عيني. وإذا بتريدي بقيم شمعتين.

أمينة : متل مابدّك. بس قوام بسرعة.

الآغا : حاضر **(يخرج)**.

(يدخل صابر وهو ينشف وجهه بالفوطة ويدق على غرفة عاصم)

عاصم (من الداخل) : ادخل.

صابر : مابدي ادخل. ناولني قنينة الكلونيا يللا.

(أمينة تتأمل صابر بغيظ وصبر)

صابر (مجاملاً) : أمينة خانم. كيف الصحة يا ست؟ الله يجعل أيامك كلها أعياد. قللي الآغا انه كل شهرين تلاته بتعملي سعادتك عيد ميلاد لحالك. كل شهرين تلاته وانت بخير يا ست.

(أمينة تنظر إليه ساخرة بابتسامة صفراوية)

صابر (يجاملها بابتسامة مماثلة، ثم يدق الباب على عاصم بعجلة) : مابدك تعطيني كلونيا. إيه كيفك؟ قول من قبله إنك ما بدك تعطيني. خاطرك. **(ملتفتاً إلى الست)** دخلك انت شو ماعندك كلونيا؟

(أمينة لاترد عليه وتنظر إليه بغيظ)

صابر : كلونيا...أودو كلوني.

(أمينة لاترد عليه بنرفزة)

صابر : لروح دوّر لحالي. عن اذنك **(يتراجع بأدب يريد الخروج)**.

أمينة : تعا لهون لشوف.

صابر (مقترباً منها) : نعم.

أمينة : انت سابقاً مااشتغلت عند ناس وشفت الناس تعرف حدودها بين الناس؟

صابر : نعم؟ مافهمت شو حزيرة هَيْ كام ناس فيها يا حزرك. محسوبك ثقافتي بالنحو والصرف قليلة شوية. فإذا أمرتي وضحيلي المعنى.

أمينة : انت سابقاً ماشتغلت مرمطون، وبتعرف كيف لازم يتصرف المرمطون قدّام أسياده؟

صابر : شو يعني المرمطون يا ست؟

أمينة : المرمطون يعني مساعد خدام.

صابر : مساعد خدام؟ شي حلو. يعني أنا خدام الخدام.

أمينة : طبعاً.

صابر : آسف يا ست إذا كنت آخدتيني بهالنظرة.

أمينة : لكان شو كنت مفتكر نفسك...امبرطور؟

صابر : مفتكر نفسي إني خادم للأكابر وبس. رضينا بالمكتوب ع الجبين وسكتنا. لكن إني كون خادم للخادم هالمنصب مابقبله. ياإما بكون مركزي محفوظ بهالبيت ياإما أنا مستقيل.

(يفك صابر وزرة الخدم)

(تخرج أمينة وهي تضحك منه ساخرة)

عاصم (يدخل) : شوهاد يا سيد صابر؟ ليش طالع صوتك؟

صابر (يعطيه الوزرة) : اتفضل يا سيدي واعتبرني من هالحظة إني مسحوب من وظيفتي.

عاصم : خير إنشالله. شوفي؟

صابر : قالت الست إني أنا معاون خدام. فأنا تعينت عند سعادتك على اعتباري خدام رسمي مو مرمطون. فأنا يا إما بحتفظ بوظيفتي كاملة. ياإما أنا مستقيل.

عاصم (يضحك) : طوّل بالك، وحياتك مركزك محفوظ وكرامتك بمحلها. وانت مالك غريب عنا. ولايكون إلا خاطرك راضي.

صابر : أيوَهْ. يا إما كل واحد لازم ياخد مركزه بهالحياة، ويحتفظ فيه يا إما لأ. فأنا رضيت انه كون خدام على عيني لكن مرمطون لأ. قال رضينا بالبين والبين مارضي فينا.

(يقرع جرس الباب الخارجي)

عاصم : هه...اجو الضيوف. فتاح يا صابر واستقبلهم لفوت كمّل لبسي.

(يدخل عاصم غرفته، ويقرع جرس الباب)

صابر (يتجه نحو الباب ويفتحه) : أهلاً وسهلاً...أهلاً وسهلاً.

(تدخل فتاة شيك وخلفها زوجها العجوز المتصابي يحمل علب الهدايا على يديه ويدخل متعثراً خلفها، تأخذ الهدايا من يدي زوجها، وتضعهم بين يدي صابر وهو يتأفف)

أمينة (تدخل مرحبة) : أهلا وسهلا **(تُقبّل الضيفة)** كيفك يا شيري؟

الفتاة : ميرسي كتير مبسوطه. عيدك سعيد يا ميمي.

أمينة : شكراً شيري شكراً. كيفك يا سمعان بيك؟

العجوز (يخرج من جيبه سماعة كالمزمار ويضعها على أذنه) : نعم؟

أمينة : عم قول كيف صحتك؟

العجوز : ها...الحمد لله البطن مليان. كيف تمام هه هه هه.

أمينة (تضحك) : اتفضل خود راحتك يا سمعان بيك. اتفضلي شيري. **(يجلسون جميعا)** شكراً زيزي على على هداياكم الجميلة.

زيزي : يا عيب الشوم مافي شي من واجبك يا ميمي.

أمينة : ممنونة زيزي.

العجوز : فين سعادة البيك؟

أمينة : عم يلبس تيابه هلأ بيجي **(ملتفتة إلى الفتاة)** انتي شفتي فستاني الدانتيل يللي اشتريته من جديد؟

زيزي : لأ.

أمينة : حلو بجنن...تريه شيك زيزي.

زيزي : صحيح؟

أمينة : وحياة بابا.

زيزي : يا ماما.

أمينة : بتريدي تشوفيه؟

زيزي : إذا بتريدي.

أمينة : تفضلي معي **(ملتفتة إلى العجوز)** عن اذنك لحظة يا بيك **(وتخرجان وهما تضحكان)**.

(يخرج العجوز علبة العطيس ويأخذ شمه)

صابر (يدخل مجاملاً) : أهلاً وسهلاً ومرحباً كيف الصحة يا بيك؟

العجوز (يضع السماعة) : نعم؟

صابر : عم قول كيف الصحة؟

العجوز : ها...الحمد لله. شعير...ضمير... بخير.

صابر : نير وغضير.

العجوز (يضع السماعة) : نعم؟

صابر : عم قول الحمد لله.

العجوز : يحسن حمدك. جنابك طبعاً صديق عاصم بيك.

صابر : أينعم. صديقي بوزرة. صداقة مرمطونية.

العجوز (يضع السماعة) : نعم؟

صابر : عم قول صديقي من زمان.

العجوز : ها... لكن سابقاً ماشفتك ولامره انت ويّاه بمناسبه.

صابر : أيوا صحيح **(لنفسه)** شو بدنا نقلّه هلأ منين بدّي أظهر؟..ما بتظهِر بني أدم غير ليراته...

العجوز (يضع السماعة) : نعم؟

صابر : عم قول أنا دايماً مسافر، ولذلك ماكنت تشوفني معه.

العجوز : ها...ووين حضرتك كنت مسافر؟

صابر : كنت مسافر ببلاد نيام...نيام.

العجوز : نعم؟

صابر : ولي علينا. بلاد نيام نيام.

العجوز : ببلاد النمنم. وين هاي بلاد النمنم؟

صابر : بلاد نيام نيام يا سيدي عند ساحل بحر الوطواط وانت فايت ناح جزر البقسطاط.

العجوز : ها...إي عرفتها. حقيقة بلاد جميلة. عرفتها عرفتها.

صابر (لنفسه) : يا حبيبي شو فهمان؟ قبضها والله **(يضحك)**.

العجوز : نعم؟

صابر : عم قول انه سعادتك داير بلاد وبتعرف جغرافيا منيح.

العجوز : معلوم بعرف جغرافيا منيح. وحتى كنت كل سنة ماصيّف إلا بجغرافيا.

صابر : منيح هاللي مابتصيّف بالتاريخ. وكريمتك كانت تروح تصيّف معك هنيك؟

العجوز : نعم؟

صابر : عم قول بنتك كانت تروح تصيّف معك هنيك بالجغرافيا؟

العجوز : هاي موبنتي...هاي مرتي...مرتي.

صابر (لنفسه) : مرته؟ ياسلام على متناقضات الحياة. آخد بنت قد بنات بناته. من هالشي مسطومين بنات أدانه.

العجوز : نعم؟

صابر : وهي مرتك أول بختك؟

العجوز : لأ..هي تامن بختي.

صابر (لنفسه) : ياحسن بختك ويا سوء بختها.

العجوز : نعم؟

صابر : عم قول شلون؟ إنشالله في وفاق بيناتكن بالعيشه؟

العجوز : يا سيدي سبحان من وفق راسين على مخدّه.

صابر (لنفسه) : صحيح. أما شو راسين؟ اسم الله. الواحد راس بني آدم. والتاني راس يخنا (**مشيراً إلى رأس العجوز**).

العجوز : نعم؟

صابر : عم قول الطقس اليوم جميل.

العجوز : أي نعم جميل.

عاصم (داخلاً بلباس السهرة) : أهلاً وسهلاً...أهلاً وسهلاً.

العجوز (ينهض مرحباً بعاصم ويتصافحان): سلامات... سلامات... كيفك؟ كيف صحتك؟ إنشالله كل ميلاد الست وانت سالم.

عاصم : وانت سالم. تفضل خود راحتك **(يجلسان)**.

(الآغا يطل من جانب الصالون مشيراً لصابر الذي ينهض مداعباً العجوز)

صابر : عن اذنك شوية يا سمعان بيك.

العجوز : وين لسه ماشفتك؟ مستأنسين يا بيك.

صابر : آسف. يا عيب الشوم منك. عليي شوية جلي بالمطبخ.

العجوز (ينهض باحترام مودعاً) : موفقين. مع السلامة. ازددنا شرف يابيك.

صابر : الله يزيدكم ازنّامات يا سيدي **(يخرج بوقار)**.

(عاصم يضحك لنفسه)

أمينة (داخلة مع زيزي تتضاحكان) : هه هه...شفت يا عصومة. عجبها فستاني الدانتيل كتير.

زيزي : اوه كتير شيك. كتير أوريجينال. كتير موديل **(تصافح عاصم)** مبروك العيد يا عاصم بيك.

عاصم : الله يبارك فيكي. تفضلوا تفضلوا **(يجلسون)**.

(يرن جرس الباب الخارجي)

الآغا (يفتح الباب) : أهلاً وسهلاً.

نزار (يدخل بأناقة مصطنعة وهو يتخنث) : بونسوار عليكم يا جماعة.

الجميع (يقفون لاستقباله وتهتف أمينة وزيزي) : أوه أهلا وسهلا.

نزار (يقترب ويقبل يدي السيدتين) : عيدك سعيد وعمرك مديد يا مدام.

أمينة : شكراً يا نزار.

نزار : كيف الصحة يا مدام؟

زيزي : عظيم. وانت كيفك؟

نزار : هو هو...عضلات من فولاذ وشعور أرق وأشف من القزاز.

(الجميع يضحكون)

أمينة : نزار دائماً رومانتيكي.

نزار : يا ستي مافي شي بالدنيا أسمى من الخيال وأرق من العواطف **(ملتفتاً إلى العجوز)** موهيك يا سيّد؟

العجوز : نعم؟

نزار (يلاحظ أن سمعه تقيل فيكتم ضحكته) : قديش اليوم سعر الليمة؟

العجوز : بتسوا بيع بتلامية وسبع وستين إلا ربع وشره بربع.

الجميع (يضحكون) : هه...هه...هه.

عاصم : انت شفت مجموعة الطوابع يللي جبتها جديد؟

العجوز : لأ...ماشفتها.

عاصم : لكان لجيب الألبوم تتفرج عليها.

أمينة : أرجوك لا تفردلي هون طوابع ومرابع. خده فرجيه عليهن بمكتبك.

عاصم : طيب. تفضل لحتى ورجيك على هالسيري الحلو يا عزيزي.

العجوز : أمرك يا سيدي...يالله.

(ينهضان ويتوجهان إلى الغرفة. العجوز يشير لزوجته حتى تتبعه خوفاً من نزار)

نزار (متلفتاً بحذر ويجلس بجانب أمينة) : ميمي...ميمي.

أمينة : لألأ...مابسوى تقعد جنبي. هلأ منلفت نظر.

نزار : كلمة واحدة بس **(يقبل أناملها ويديها وكتفها)**.

أمينة (ممانعة) : بس بس. هلأ بيدخل حدا وبشوفنا يا نزار.

نزار : انتظرت مبارح طول اليوم تلفون حسب الموعد.

أمينة : ماصار لي فرصة **(تقف)**.

نزار : أرجوكي انك تخلقي الفرصة **(يأخذ يدها ويضعها على قلبه)** شاعرة كيف صار قلبي تحت أناملك متل الفراشة يا روحي؟

أمينة : أرجوك هلأ بيدخل حدا بشوفنا مو وقته هلأ **(محاولة التملص من جانبه، ونزار يغتصب منها قبلة من غير مقاومة)**.

صابر (يدخل ويقترب متحدياً أمينة بنظرات ساخرة متهكمة) : احم احم برافو. لقطة مابقى يصير أحلى من هيك. أنا بشوف انه لازم يبوسك قدام جوزك بكون أحلا يا خانم.

(أمينة ونزار مصعوقين من المفاجأة)

صابر (ينحني لهم بازدراء) : عدم المؤاخذة سادتي إذا ماقرعت الباب وأنا داخل. لأنه ماإجا ببالي إني راح لاقي السينما شغالة.

أمينة (مرتعشة تولع السيجارة وتشربها بعصبية) : صارلك زمان جايي؟

صابر : من أول الرواية يا ملونة يا حرباية. وثم نحنا المرطونية كل ماشفنا فيلم مضحك مبكي متل هالفيلم. بنتأسف على هيك ممثلين فاشلين مجرمين. واسفاه.

نزار (يقترب من صابر ليهدده ويمسكه من صدره) : يتعرف إذا كنت بدك تفتح تمك شو راح يصير فيك؟

صابر : متل ماصار مع الست.

نزار : أني ست؟ بدي طيرك من هالدنيا يا مسكين. انت لسه ما بتعرفي أنا مين؟

صابر : شلون مابعرفك. هلأ لسه شفت مآثرك الحميدة.

نزار : اخرس سد بوزك يايا... **(مشيراً إلى صابر مهدداً. تظهر الفتاة من الغرفة.عندها نزار يعانقه حتى لاتنتبه الفتاة لموقفهم. وبتلافوا المشهد بالعناق والطبطبة على ظهور بعضهم كأنهم أحباب يلتقوا بعد الغياب).**

أمينة (للفتاة) : تفرجتي ع الطوابع يا شيري؟

الفتاة : تفرجت...مافي شي حلو.

صابر : يا ريت تفرجتي هون كان أحلا.

الفتاة : ليش شو كان في؟

صابر : كنت عم مثل أنا والبيك روميو وجولييت. ماشفتينا كيف متعانقين وبسحر الغرام سابحين؟

(الفتاة تضحك ثم يقرع جرس الباب، صابر يفتح الباب، يدخل المدعوون ومعهم علب الهدايا)

أمينة : أهلا وسهلا... أهلا وسهلا.

(يدخل عاصم محتفلاً بهم، ويجلس الجميع بين ضحك وهرج ومجاملات. الآغا يدخل ويوزع السجاير. صابر يأخذ سيجارة ويقف بجانب الصالون ويتأمل المجتمعين بقرف)

نزار : مين بيعرف نكتة الاسبوع؟

صابر (لنفسه) : والله انت نكتة هالدهر الساخر.

نزار (للضيوف) : ماحدا رد منكن. أصبح ماحدا بيعرفها غيري.

صابر (لنفسه) : وغيري.

نزار (للضيوف) : كان واحد راكب سيارته الخاصة عم بدور سرّي مرّي **(يضحك الجميع)**.

صابر : كه كه كه سبحان الذي خلقلك هالدم الخفيف.

نزار (متبعا) : وهو ماشي صادف ست مودرن من كسم مارلين مونرو **(يضحك الجميع)**.

صابر : مبسوطين. حديث مفيد **(لنفسه)** شو هالحديث الأخلاقي العظيم. هيك بيحكوا بصالونات الكابر؟

نزار (متابعاً) : ولما صار يزمّرها، وهي ماترد، ضل لاحقها ويقلها مو ضيعان أنامل رجلين الغزال تتنقل ماشية ع الأرض؟ السيارة تحت أمرك سينيوريتا (**يضحك الجميع**).

صابر (لنفسه) : يا عيني يا عيني على هيك شباب اللي ماله حديث إلا عن قلة الأدب والتخنس والتبوس. مسرورين من وقاحته وقلة أدبه. عم يضحكوا ولا واحد منهن تحرك دمه وقال له خراس، هالكلام وهالحديث مابينحكى بوجود ستات وبنات وصالونات وعائلات وخزاين وكنبايات واكسسوارات.

(يضحك الجميع من نزار ونهاية نكته)

صابر : خليني ساكت شو بدّو يحكي الواحد. قال إذا الحكي من دهب السكوت من أورانيوم.

(يدخل الآغا ويقدم الشراب)

(يتقدم صابر نحو العجوز ليأخذ الكأس الفارغة)

العجوز : أنا شايفك قبل هالمرة. موهيك؟

صابر : أينعم. خطرة تقابلنا مع بعضنا لما كنت سعادتك مصيف بجغرافيا.

العجوز : ها...إي مظبوط.إذاً، أنا ذاكرتي قوية.

صابر : طبعاً وبتتذكر جنابك لما تقابلنا بالواق الواق، وانت كنت راكب بساط الريح، وأنا ماشي حافي وقلتلك هالو.

العجوز: مافهمت شو عم تحكي.

صابر: يظهر انتزعت ساعتك **(مشيراً له بحركات صامتة أن يرى زوجته كيف تمازح الشاب المستهتر)**.

العجوز: ها ها هم هم. فهمت عليك فهمت عليك. كتّر خيرك يللي نبهتني. أنا هلأ رح بورجيك بعينك إني رجال عصري لكن عند اللازم شديد. هلأ شوف سيطرتي عليها، وشلون إني بوقفها عند حدها وقت اللزوم **(للفتاة بأمر شديد)** يا ست. ماكنتي تنتهي سمع نكت وأحاديث بايخة الليلة؟

الفتاة: إي سكوت من فضلك. وروح قعود بحالك.

العجوز: حاضر شيري **(يجلس خائفاً متخاذلاً)**.

صابر: خود يا عمي ساعتك مافيها شي. لكن انت يللي فيك شي. فيك شيين **(يعطيه الساعة ويخرج)**.

(في هذه اللحظة ينطفئ نور الكهرباء تصرخ أمينة)

أمينة (برعب): آه.

الجميع: الضو الضو. شعلوا الضو. الكهرباء.

(يشعل الضوء وتظهر أمينة جاحظة العينين مرعوبة ويدها على عنقها)

أمينة: عقد اللولو. عقدي انخطف. عاصم عقد اللولو طار من رقبتي. موجود بيناتنا لص حرامي.

الجميع (في لغط) : حرامي. عقد اللولو. مين أخده؟ مين اللص. مين طفى الضو حرامي.

عاصم : أرجوكم أيها السادة الهدوء وعدم الشوشرة، لأنه الأمر مو بكل هالأهمية. العقد هلأ بيلتقى بسيطة.

نزار : كمان أنا بتكلم نيابةً عن صديقي بكل صراحه انه العقد ماحّق يطير من هالمكان. بلا انتقاد لازم.

عاصم (مقاطعاً) : لا لا مافي لزوم لهالإحراج، فكلنا هون عائلة واحدة وأصدقاء مولازم انه.

(يدخل صابر وغير عالم بشئ، يسأل العجوز جانباً، ويشير له العجوز أنه لايدري)

أمينة : عاصم أعطي خبر للشرطة.

عاصم : مافي لزوم لهالشي جميعنا الحمد لله معروفين و...

نزار : أنا بقترح انه القضية مافيها زعل. وهيك قضايا لازم تجري بشكل رسمي حتى نعرف مين ارتكب هالسرقة يللي أرسين لوبين ماعملها بزمانه.

عاصم : لأ ما في لزوم. على كل يللي ارتكب هالغلطة منه لحاله يرجعه.

العجوز : أنا بشوف من غير مواربة أو مجاملة لازم يتفتش كل واحد منّا قطعاً للشك، وأولهم أنا.

نزار : وليش لحتى نحنا نتفتش؟ كل واحد منا شريف ومحترم ومعروف. أنا بشوف لازم يتنبش هالشخص المجهول منا قبل كل شيء **(يشير إلى صابر)**.

صابر : انت محترم. وأنا عديم الاحترام؟ والله الحق بإيدك. هيك مفاهيم الدنيا مع الأسف. أنا مابتنبش ياسيد.

أمينة : لازم تتنبش. أنا أول ماشفته ماعجبتني هيئته. هادا باين عليه حرامي...لص.

صابر : مو ممكن أبداً اتنبش.

نزار : بدّك تتنبش غصب عنك.

عاصم (مهدئاً) : دشروه أنا راح نبشه وريّحكم. تعا لهون يا صابر لشوف.

صابر (يقترب نحوه) : نعم؟

عاصم : لاتاخد على خاطرك لأنه بدّي نبشك. كلهم راح يتنبشوا.

صابر : طيب نبش غيري قبلي. ليش بدّك تستفتتح فيّي؟

عاصم : لحتى ما تزعل أنا بقبل انك انت تنبشني.

صابر : أنا يا سيدي لابدي نبش حدا ولاحدا ينبشني. مادخلت بيناتكن، انتو أكابر على بعضكن.

نزار (يقترب نحو صابر) : شوف. هلأ مو وقت مراوغة وتضليل بدّك تتنبش.

صابر : ما بتنبش.

(في هذه الفترة أمينة مغمى عليها والفتاة تفرك يديها والآغا يشممها كلونيا الخ...)

نزار : بدي نبشك غصب عنك.

صابر : مستحيل...الحرامي يللي بيتنبش. لكن أنا مابتنبش.

نزار : اخرس (**يضربه كفين**).

عاصم : لَهْ لَهْ من غير ضرب يا سيد.

نزار : الحرامي لازم ينضرب.

عاصم : على كل مابريد الحالة تتطور لهالدرجة. رفاع إيديك يا صابر حتى نبشك وترفع الشك عنك.

صابر : أنا مابتنبش.

عاصم : لا...لكان بدّك تتنبش غصب عنك.

صابر : مو ممكن خلي حدى ينبشني بالزور.

عاصم : بالزور (**يمد يده نحو صدر صابر**).

(صابر يتمنع ويضب يديه على صدره)

عاصم (يمد يده على عب صابر) : لاتحاول تتمنع أحسن لك. بدّي شوف شو في بعبك.

صابر : قيم إيدك انت ويّاه مو ممكن.

عاصم (يمد يده بالزور) : آه يا حرامي يا لص. أنا افتكرتك آدمي مسكين...تاريك.

صابر (يحاول عدم وصول إيد عاصم) : لا لا والله لو بدي اتفرّم مابخلي إيدكن تصل لعبّي.

عاصم : طالع العقد لحالك لكان.

صابر : لو بدي روح ميت شقفة مابسمحلكم **(تتكاثر الأيدي إلى أن يستسلم لهم)** وقفوا وقفوا راح بعطيكم العقد **(الجميع يتركوه)**.

عاصم : هات العقد لشوف.

صابر : طول بالك لآخد نفس.

عاصم (ماداً يده) : يللا هات.

صابر : الله يبعتلك.

عاصم : يللا مد مكسورتك على عبّك وطالع العقد لشوف.

صابر : على راسي. راح بطالع العقد وبعطيك ياه. بس مو من عبّي. لكن من كم بنطرون هالمحترم **(ثم ينحني على بطلون نزار ويأخذ من طيتها حبة لولو مقطوعة)** تفضلوا أيها السادة المخدوعين. هي حبة من الطوق اللولو كانت بكم بنطرون البيك **(يرفعها بين أصابعه ويدور فيها)**.

الجميع : أف... طلعت الحبة معه شي غريب لكان هادا اللص.

(نزار يقف مرتبكاً ومطرقاً)

صابر : ومدام لقيتوا الحبة الأولى، واسألوا سعادته عن بقية العنقود.

أمينة (تقترب وتأخذ الحبة منه وتقبلها) : صحيح هالحبة من عقدي يا عاصم.

عاصم : شلون لحتى شفت الحبة بكم بنطرونه يا صابر؟

صابر : بسيطة. لما انقطع الكوران وانطفى الضو. اغتنم الفرصة ونتش الطوق أخونا، وانفرط منه الخيط وخباه. وهو مو منتبه وقعت منه حبة ببنطرونه، حتى أنا شوفها والله يظهر براءتي. بسيطة.

عاصم : أصبح انت يللي عامل هالفصل يا نزار؟

صابر : لأنه شريف وآدمي محترم **(ونزار لايزال مطرقاً خجلاً)**.

عاصم : يا أسفي عليك.

(الآغا يلتقط العقد من أسفل الكنباية التي كانت جالسة عليها أمينة)

الآغا : هي الطوق يا سيدي. لاقيته مدحوش بسفل االكنباية.

(يعطي الآغا الطوق لعاصم)

عاصم (يأخذ الطوق) : يا سلام حادثة غريبة. مين كان متأمل إنك تكون لص بهالشكل يا نزار بيك؟ **(يخطو نزار نحو الباب)** عندك. **(يقف نزار)** إذا كنت أنا بسمحلك تطلع من بيتي وما سلمك للعدالة. لكن في شخص كريم اله عندك دين لازم يستردّه. تعا يا صابر أفندي وردّله الإهانة يللي أهانك ياها.

صابر : أنا مابعرف هين حدا. موعيب خدام صغير انه يتطاول على شخصية محترمة متله؟

عاصم : أبداً بالعكس لازم تصفعه كف عواض يللي صفعك ياه.

صابر : ليش هو صفعني؟

عاصم : طبعاً... ماهلأ صفعك قدامنا؟

صأبر : لأ هوّ ماصفعني. لكن يللي صفعني سوء حظي ونصيبي بالحياة **(لنزار)** روح يا ابني روح. الدهر يللي صفعني إلا مايصفعك مضاعف. هي أول صفعة منه نكستلك راسك لأسفل السافلين. روح يابني العفو من شيم الكرام.

(يخرج نزار مكسوفاً، الجميع مصفقين لصابر وفرحين وضاحكين)

العجوز : يهنيك يا سيد على موقفك الشريف النبيل.

الآغا (يعانق صابر فرحاً) : الحمد لله على سلامتك والله قدّيش كنت خايف تطلع لاسمح الله حرامي.

صابر : الحرامي مابيحتاج يشتغل خدام يا آغا. يللي بيسرق قوام بينفق وبعيش عاللوز والجوز والفستق **(الآغا يضحك)**.

أمينة (تقترب من صابر وتشير لعاصم لينبشه مرة اخرى) : وينك يا مدري شو اسمك.

صابر : **نعم؟**

عاصم : طالما كنت مو انت يللي سارق العقد. ليش مارضيت يفتشوك؟

صابر : هلأ ماالتقى العقد وكل شيء راح بحال سبيله؟

أمينة : بكون سارق غير شي ومخبيه بجيبتك حتى ارتعبت هالرعبة لما اجوا يفتشوك؟

صابر : أكتر من رعبتك **(غامزاً)**.

أمينة (تضحك باستخفاف) : بدنا نبشك ياحرامي.

صابر (مذعوراً وضاباً يده على صدره) : أنا حرامي؟ كتّر خيرك.

أمينة : حرامي ونص. عاصم فتشه وشوف ليش عم يتصرصر كل هاد وخايف لهالدرجة.

عاصم (يقترب نحوه) : وقف وقف لاتخاف، إذا كنت آخد شي طالعه من جيابك لحالك وأنا بسامحك وبعفي عنك.

صابر : مالي آخد شي وحياتك.

عاصم : لكان ليش ماعم ترضى نشوف شوفي بعبك؟

صابر : قلتلك مافي شي بعبي صدقني.

عاصم : لأ...مابصير إلا تكون مخبي غرض.

صابر : لأ...غلطان أنا ور...

أمينة : مد إيدك على جيبه. لسه خايف منه، أنا بفتشه هه.

(تحاول أمينة وعاصم تفتيش صابر)

صابر : عا عا عاصم بيك أرجوك لاتخجلني عاصم بيك.

عاصم (يسحب يده من جيب صابر ويخرج رغيف) : أف رغيف؟

(صابر يدير وجهه خجلاً)

الجميع (بدهشة) : أوف شوهاد؟ سارق رغيف؟ آخد سندويشه؟

عاصم (يضحك) : شوهاد يا صابر أفندي. سارق رغيف ومخبيه بجيبتك؟

صابر (بخجل) : سامحني يا سعادة البيك.سرقت الرغيف لأني لقيته تازه اشتهيته لأهل بيتي أم نبيل.

عاصم : اللهم لحول ولا قوة إلا بالله يا صابر أفندي.

صابر : نعم.

عاصم : خود الرغيف وخليه بجيبتك لأم نبيل. وأنا بعاهدك أمام الله وأمام الضمير الإنساني إني ماخليك تحتاج تسرق رغيف لعائلتك. راح يكون دائماً بعد اليوم خبز تازه طري عند أم نبيل.

(صابر ماسحاً دموعه ومعانقاً عاصم)

أمينة (تقترب وتأخذ الرغيف من يد عاصم وتحاول وضعه بجيب صابر، وصابر يمانع قليلاً) : لاتكسفني يا صابر أفندي. خود الرغيف مني هدية لأم نبيل. وقلها تقبله مني رمز العيش والملح يللي راح يصير بيناتنا يا أبو نبيل. خود... تفضل... أرجوك.

(ياخذ صابر الرغيف من أمينة ويضعه في جيبه بتأثر وارتباك)

أمينة : سامحني يا سيد. انت خليتني فتح عيوني من الظلام للنور. واعتباراً من هلأ ورايح صار مقامك ممتاز عندي.

صابر : يعني ترقيت من مرمطون لخدام؟

أمينة (ضاحكة مع الجميع) : لأ ترقيت من خدام لأسمى معاني النبل بنظري.

الجميع (هاتفين ضاحكين) : فلتحيي برافو عاشت أمينة خانم.

الآغا (يعانق صابر مسروراً) : الحمد لله يا سيد صابر يللي ظهرت براءتك. والله كنت خايف يحبسوك.

صابر : يحبسوني ؟ ليش يحبسوني؟ لأني سرقت سندويشه؟ يللي سرق اللولو والماس ماحبسوه. بقى أنا ليش حتى يحبسوني مشان رغيف يامجدوب؟

(يضحك الآغا ببلاهة)

العجوز : أنا مبسوط منك كتير كتير.

صابر : وأنا مبسوط أكتر.

العجوز (يضع السماعة) : نعم؟

صابر (مقلده) : نعم؟

العجوز : يا سلام يا صابر أفندي بيطلع منك ممثل عظيم مضحك مبكي.

صابر : شوبدنا نعمل يا بيك؟ كل واحد منا عم يمثل دوره على مسرح الحياة.

عاصم : أرجوكم أيها السيدات والسادة، بما أن الحديث انتهى إلى خير الحمد لله، بقترح انه نرجع لمرحنا وسرورنا. ولا تنسوا انه البوفيه عم تنتظر طقومة أسنانكم.

(الجميع فرحون، الآغا يدور يوزع السكاكر)

(يقرع جرس الباب)

الآغا : ايوَه أيوهَ **(يفتح الباب، يظهر خلوصي)** أهلاً وسهلاً أهلاً.

خلوصي (يدخل كعادته متزلفاً يحاول تقبيل أيادي البيك) : السلام على السادة الأجلاء المحترمين.

عاصم : أهلاً خلوصي أفندي.

خلوصي (يحاول تقبيل أيادي عاصم) : بكم يا سيدي بكم يا سيدي.

عاصم : العفو العفو استغفر الله.

خلوصي : لأ...الأيادي البيضاء الكريمة تتقبل يا سعادة البيك.

عاصم : العفو العفو .

خلوصي : لا أحرمنا الله من ظل سعادتكم فوق رؤوسنا، فنحن محاسيب مولانا و...

أمينة : كيفك يا خلوصي؟

خلوصي (ينحني ويحاول تقبيل أياديها) : سيدتي وتاج راسي روحي لك الفدا ولم تشمت بك العدا. سيدتي الخانم نحمده تعالى على ما أنعم وكرم مولاتي.

أمينة : كيفها بنتك؟

خلوصي : بتقبّل أيادي سيدتي. الحمد لله خادمتكم بألف خير. وثم بالمناسبة اسمحي للعبد الفقير يقدم أحر التهاني وأطيب التمنيات بعيدك السعيد ياخانم أفندي.

أمينة : شكراً.

عاصم (مجاملاً) : إنشالله جايي تسهر عنا وتشاركنا بالعيد يا خلوصي أفندي؟

خلوصي : ولله كان إلي مزيد مزيد الشرف يا سعادة البيك. بس لو ماكنت مشغول شوية هلأ بأمر هام.

عاصم : خير إنشالله شو هالأمر الهام؟

خلوصي : أمر هام بالنسبة إلي ولصديقي صابر أفندي. إذا سمحت بدي احكي معه كلمتين على انفراد.

عاصم : تفضل تفضل مافي مانع.

خلوصي (يذهب إلى طرف وينادي صابر) : تعا لقلك يا صابر.

صابر (من بين الضيوف وعلى يديه صينية عليها كاسات) : خلوصي شوفي؟

خلوصي : قرب لحاكيك كلمتين.

صابر : في شي؟ شو في؟

خلوصي : تشجع يا صابر.

صابر : خير؟

خلوصي : أم نبيل.

صابر : شبها؟

خلوصي : البقية بحياتك.

(يظهر الألم عل وجه صابر، وترتعش شفتيه، وتهتز الصينية بكاساتها من يده، وتتحطم ويتركز نظره على لاشيء. ثم يبدأ بسحب الرغيف من عبه، ثم يلتفت إلى الجمع ويقول بمرارة وألم)

صابر : تفضلوا أيها السادة الكرام. هاي الرغيف يللي سرقته منشان أم نبيل. بتردلكن ياه مع كل ممنونية. لأنه أم نبيل ماعادت تاكل بعد اليوم.

(يعطي الرغيف لعاصم ويتجه نحو الباب)

(الضيوف تتجه أنظارهم نحو صابر بعطف. ويخرج صابر وخلفه خلوصي وهو ينحني للضيوف، ويسلم على الجميع، بينما الستارة تنسدل رويداً رويداً).

الســـتارة

(تمــت)

مراجع مساعدة

١ - تاريخ المسرح السوري ومذكراتي – وصفي المالح – جمع وتنسيق ياسر المالح – دمشق ١٩٨٤.

٢ - رواد المسرح السوري بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات – عدنان بن ذريل – وزارة الثقافة – دمشق١٩٩٣.

٣ - أسرار في حياة الفنان حكمت محسن – كراس هدية ملحق جريدة الثورة الاسبوعي – مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ١٩٦٨.

٤ - تيسير السعدي ممثل بسبعة أصوات – ميسون علي – أمانة دمشق عاصمة الثقافة العربية – دمشق ٢٠٠٨.

٥ - ظرفاء دمشق – أكرم حسن العلبي – إصدار المؤلف – دمشق ١٩٩٦.

٦ - مجلة الإذاعة السورية من العدد الأول أول أيلول عام ١٩٥٣ - حتى العدد ١٠٦ - ١٠ تشرين الثاني عام ١٩٥٧.

الفهرس

الفصل الثاني

الفرقة السورية وانطلاقته الكبيرة

الفصل الثالث

حكمت محسن وإذاعة دمشق

الفصل الرابع

حكمت محسن والتلفزيون

الفصل الخامس

حكمت محسن والمسرح

الفصل السادس

حكمت محسن والزجل

الفصل السابع

محطات في حياة حكمت محسن

مسرحية (صابر أفندي)

أحمـد بـوبـس

- إجازة في الرياضيات من جامعة دمشق.
- شاعر وكاتب وباحث في التراث وإعلامي.
- صدرت له ثلاث مجموعات شعرية هي:

(كتابات في ضوء القمر)، (لعينيك آت)، (بيروت موسم النزيف).

- من مؤلفاته الأخرى:

١ - محمد محسن ملحن الكبار – أمانة دمشق عاصمة الثقافة العربية – دمشق ٢٠٠٨م.

٢ - مبدعو الألحان السورية في القرن العشرين – الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق ٢٠١١م.

٣ - دليل المطربين السوريين في إذاعة دمشق – الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون – دمشق ٢٠١٤م.

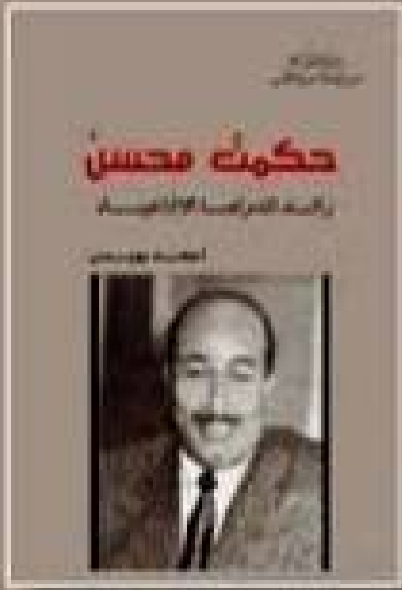
٤ - فريد الأطرش عبقرية موسيقية خالدة – الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق ٢٠١٥م.

٥ - رضا سعيد – الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق ٢٠١٧م.

- أعد الكثير من الأفلام الوثائقية للتلفزيون العربي السوري عن الأدباء والمفكرين والفنانين السوريين، منهم: د. عفيف بهنسي، نصر الدين البحره، سليمان العيسى، عادل أبو شنب، عبد الفتاح سكر.....

حكمت محسن فنان عصامي مكافح. عشق الفن فدفع ثمن عشقه غالياً. عانى من الفقر والجوع، ومن ظلم المجتمع الذي كان ينظر إلى الفن نظرة إزدراء. كما عانى من غدر ومحاربة الفنانين له بسبب تفوقه عليهم. ومع ذلك صمد وكافح، حتى جعل من الفن مهنة محترمة.

خاض حكمت محسن غمار كتابة كل أشكال الدراما الإذاعية والتلفزيونية والمسرحية، وكتب الأزجال والمونولوجات. وكانت كل أعماله موجهة لخدمة المجتمع، وانتقاد العادات السيئة فيه، فارتقى إلى مرتبة المصلح الاجتماعي.



حكمت محسن فنان عصامي مكافح. عشق الفن فدفع ثمن عشقه غالياً. عانى من الفقر والجوع، ومن ظلم المجتمع الذي كان ينظر إلى الفن نظرة ازدراء. كما عانى من غدر ومحاربة الفنانين له بسبب تفوقه عليهم. ومع ذلك صمد وكافح، حتى جعل من الفن مهنة محترمة.

خاض حكمت محسن غمار كتابة أشكال الدراما الإذاعية والتلفزيونية والمسرحية، وكتب الأزجال والمونولوجات. وكانت أعماله موجهة لخدمة المجتمع، وانتقاد العادات السيئة فيه. فارتقى إلى مرتبة المصلح الاجتماعي.

أحمد بوبس
حكمت محسن رائد الدراما الإذاعية
دمشق ٢٠١٢

www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف ٣٣٢٩٨١٠ - ٣٣٢٩٨١١
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م
سعر النسخة ١١٠٠ ل.س أو ما يعادلها